اخترت الرحيل

عنوان الكتاب: اخترت الرحيل
الموضوع: رواية
التأليف: د/أسماء فتحي الطوخي
مراجعة وإخراج فني: عمرو وسالم سواح
غلاف: باسم مدحت
رقم الإيداع: 16937 /2019
الترقيم الدولي: 978-977-6639-57-7
الناشر: دار تويتة للنشر والتوزيع

www.facebook.com/Tweetforpublish
tweetpublishing2017@gmail.com
ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة7
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري
01017799799
01225762066

#غرّد_للعالم

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

رواية

اخترت الرحيل

د/أسماء فتحي الطوخي

تويتة
Tweeta
للنشر و التوزيع

طالما حلمت بهذه اللحظة وتمنيتها منذ أن كنت طفلة صغيرة أتطلع كل يوم إلى أمي التي تأتي محملة بالعديد من قصص المغامرات والأدب العالمي للناشئين والتي كنت أتطلع لقراءتها بنهم شديد.

كنوزي الصغيرة التي تركت بداخلي علامات كثيرة.

أكملها قراءتي لروايات الدكتور أحمد خالد توفيق -رحمه الله- والذي كانت لحظة إعلان وفاته من أغرب اللحظات التي مرت عليَّ فلم أصدقها، وظللت أبحث في كل المواقع عن تكذيبها بلا جدوى.

إلى ...إياد ..وجنى.. وعمر.

شكر خاص للأستاذة / رشا العمري

لندن، الإمبراطورية البريطانية، عاصمة الضباب المجهول الذي تُقْتُ إليه وتمنيته.

بداية جديدة، ذكريات جديدة، أناس جدد، فرصة ثانية أعطتها لي الحياة، فهل سأنجح؟ أو أنها بداية لفشلٍ وحزنٍ جديدين؟

أكثر ما أحببته في هذه المدينة الكبيرة عدم تدخل الناس في حياتك، فلتفعل ما يحلو لك ما دمت لم تتعدَّ على حرية الآخرين.

لا أحد هنا يسألك أي سؤال عن أي شيء في حياتك ما لم تقص أنت عليه.

أما الوحدة فهي نمط حياتي، معتادة عليها، لا أخشاها، بل تعلمت كيف أتعايش معها.

أعترف أنني في البداية كنت خائفة ولكنه خوف مغلف بالتشويق والإثارة؛ فالبدايات دائمًا مشوقة غامضة مليئة بالمفاجئات.

أتيت إلى هنا في بعثة من الجامعة لدراسة الأدب الإنجليزي.

أسكن في إحدى البنايات الصغيرة في وسط العاصمة، شقتي صغيرة؛ غرفة واحدة وصالة صغيرة ومطبخ وحمام، أعيش فيها بمفردي.

اليوم.. وآه من اليوم .... هو أهم يوم في حياتي، بل إن مصيري متوقف على ما ستؤول إليه أحداث اليوم؛ لقد انتظرت هذا اليوم سنوات طويلة.

لا أصدق...... أحقًّا ستتحقق أمنية هذه الغبية التي استسلمت وهربت وتركت كل شيء؟!

ولكن القدر كان له رأي آخر...

نظرت في المرآة للمرة العشرين.. رتبت شعري للمرة المائة.. فستاني ترى هل هو مناسب؟ ماذا سأقول له عندما يقدم لي الخاتم؟

سأخجل.. سأبتسم.. سأقول له نعم أوافق... سأبكي, بالتأكيد سأبكي من شدة الفرح.

إلى الآن لا أصدق.... سمعت رنين باب الشقة, نظرت من النافذة... أوه..... لا........ ليس هذا وقتًا مناسبًا يا "كريم".. قلت في نفسي وأنا مقطبة الجبين, نظر إلى الأعلى ورآني فقال في رجاء:

- "هَنَا" هل تسمحين لي بدقيقتين أرجوك؟

أجبته في اقتضاب: "كريم" هذا ليس وقتًا مناسبًا.

قال في رجاء: أرجوك دقيقتين فقط.

سألته في قلق: هل أنت بخير؟

أجابني في يأس: لا، لست بخير، لن أطيل، أعدك بذلك.

نظرت له في أسى.. أعلم أنه يتعذب بسببي.. لقد طلب مني الزواج مرتين ولكنني رفضت، ومع ذلك ظل صديقي الوفي, في كل مرة كان يقول لي: "لن أيأس، سيأتي ذلك اليوم"، ولكنني بالأمس أخبرته بكل شيء, أخبرته بقصة عشقي التي اعتقدت أنني نسيتها، وجئت إلى هنا هربًا منها, أخبرته أن فارس أحلامي وبعد تردد وبعد كثير من المشاكل سيطلب يدي, أخيرًا سأتزوج من احتل قلبي لسنوات..

في البداية ضحك وتمنى لي الخير، وبعدها أمسك بيدي وأخذ يبكي، كانت من أصعب لحظات حياتي وأنا أتركه وأمشي.. لم يكن في يدي ما أستطيع فعله.

لم أستطع أن أنظر خلفي.. سرت وأنا أغلق كل الأصوات التي تصرخ في داخلي... سامحني يا "كريم" هذا ما حلمت به لسنوات, ولكنه لم ييأس كما ظننت لقد أتى اليوم.. والآن وأنا أستعد لأهم لحظة في حياتي, أمام نظراته المنكسرة نزلت من الشقة لألقاه أمام البناية أشعث الشعر متورم العينين:

- "كريم " ألم تنم بالأمس؟

- لم أستطع النوم.. حاولت ولم أقوَ.

- هل أنت بخير؟

- لا لست بخير، ولكن دعيني أنظر إليك.. ما أجملك! وجهك, شعرك، وهذا الفستان الرائع، إنه نفس الفستان الذي اشتريناه معًا.. أليس كذلك؟

نظرت له في إشفاق:

- "كريم"... لماذا ؟.. أرجوك لا تعذب نفسك.

- أرجوكِ, لا تفعلي بي هذا أرجوكِ.

- "كريم".....

- أنا على استعدادٍ أن أقسم لك إنه لا يحبك.. لن يستطيع أن يترك كل شيء من أجلك.

نظرت له في غضب وهتفت :

- "كريم"...

- لا تغضبي.. ولكنها الحقيقة.. سوف يخذلك.

هتفت في تحدٍّ : لا.. لن يفعل...

قال في أسى : هل سيترك كل شيء من أجلك؟

صرخت فيه بغضب: لقد وعدني.........

كنت أتنفس بصعوبة وأنا أحاول أن أسيطر على انفعالاتي.. أحاول أن أخمد الصوت الذي يعلو بداخلي والذي جاء "كريم" الآن ليوقظه من جديد.

لانت ملامحي وأنا أنظر إليه وقد دمعت عيناه وهو يقول في رجاء:

- لا تفعلي هذا بنفسك وبي.. لن أضايقك مرة أخرى بل أنا على استعداد أن أترك الجامعة ....أترك المدينة كلها لو كان في هذا راحتك.. وأن أبتعد عنك إلى الأبد.. ولكن لا تلقي بنفسك في هذا الطريق.. أنتِ الخاسرة الوحيدة.. أنتِ تستحقين مَن هو أفضل منه.

ابتسمت في سخرية وقلت له: وأنت هذا الأفضل؟

قال في انفعال: لا لست أفضل منه ....أنا لا شيء.. هل يرضيك هذا؟

نظرت له في تأثر وقلت: "كريم" أنا أعلم أنك تحبني..

قاطعني قائلًا : بل أعشقك.

انتظرت لحظة.. التقت أنفاسي وقلت له في هدوء:

- "كريم" لقد انتظرت هذه اللحظة طوال حياتي.. اسمه وصورته محفوران في قلبي.. كان هو الطريق طوال السنوات الماضية.. هو فقط.. وإن كنتَ حقًّا تحبني كما تقول ستتمنى لي الخير والسعادة مع من اختاره قلبي وستكون سعيدًا من أجلي.

نزلت دمعة من عينه.. مسحها بيده وابتسم ابتسامة مكسورة، وتركني وانصرف دون أي كلمة أخرى.

ظللت للحظات أنظر إليه في أسى وإشفاق والصراع يتقد بين قلبي وعقلي.. هتفت لنفسي ساخطة : "أعلم ...أعلم.. إنسانة لا قلب لي ولا أملك

أي ذرة من الرحمة والعطف أو الإحساس.. أنانية.. ظالمة.. قاسية.. هل هناك المزيد ...؟

الحقيقة أنني أضعف وأتعس من كل ذلك.. أنا المظلومة التي أتت عليها الحياة في كل شيء.

سمعت رنين الهاتف بالأعلى.. انطلقت أعدو على السلالم حتى أنني تعثرت وكدت أسقطت مرتين حتى وصلت إلى الشقة.. أسرعت إلى الهاتف.

- الوو ....

- أعتذر الرقم خطأ.....

نظرت إلى الساعة.. إنها السادسة.. لقد تأخر, كان ميعادنا في الخامسة والنصف.. فلأنتظر قليلًا.. فلم يمر الكثير.

جلست على الكرسي أنظر من النافذة.. لقد ملأ الضباب المكان.. سرعان ما سيزيد ليخفي بداخله كل شيء, كيف أتيت إلى هنا؟ وما الذى أفعله؟ في الحقيقة أتيت إلى هنا هربًا وفرارًا من حياتي السابقة, فرارًا من حبه, لم يكن لي أي مخرج سوى الهروب.. وهو ما رأيت أنه السبيل الوحيد لبداية جديدة بعيدًا عن كل شيء.. ولكنني وكالعادة كنت واهمة.

آه يا "كريم"...... شردت وأنا أتذكر كيف تعرفت عليه أول مرة .

عندما قدمت إلى هنا سكنت في سكن تابع للجامعة ولكني لم أستطع أن أمكث فيه أكثر من أسبوع.. بعده قررت أنني لن أظل ثانية أخرى مهما كلف الأمر. الفتيات هنا مختلفات في كل شيء وأكثر المشاكل بيننا هي في وجود أصدقائهم من الشباب في أي وقت وأي ظروف, جمعت أشيائي على عجل وأنا أصرخ فيهم وأسب وألعن السبب في وجودي معهم في ذات المكان

ولم أنتبه أنني لم أغلق حقيبتي جيدًا.. وما إن خرجت من باب الغرفة وسرت خطوتين حتى انفتحت الحقيبة وسقط كل ما فيها وقفت أنظر للفوضى وللملابس الملقاة على الأرض أكاد أبكي.. ليس هذا ما كنت أتخيله وأحلم باكتشافه في لندن. جلست بجوار الحقيبة وأنا أفكر أين سأذهب الآن؟ وجدت من يسألني مبتسمًا:

- مرحبًا هل تحتاجين إلى مساعدة؟

ما إن رفعت عيني ونظرت إليه حتى أحسست بقلبي ينقبض.

قال بدهشة: أنتِ بخير؟

هززت رأسي بقوة وأنا أغمض عيني وأفتحها مرة أخرى.

هل شعرت بشيء ما ...؟!

قلت في دهشة : أنت مصري؟

ضحك وقال: وكذلك أنت أليس كذلك؟.... تشرفنا أنا "كريم".

مددت له يدي وأنا أقول : وأنا "هَنا ".

نظرت له للحظة.. شاب في أواخر العقد الثاني إذا لم تخُنِّي فراستي وسيم طويل ومرح أيضًا.

نظر لي في تساؤل فخفضت عيني وأنا أهز رأسي: لا شيء، وانشغلت بجمع الملابس في الحقيبة.

ساعدني في جمع أشيائي وهو يقول :

- هذه هي المرة الأولى التي أراك فيها.

- أنا جديدة هنا وصلت من أسبوع .

- وبهذه السرعة ستهربين؟

- لا أستطيع أن أبقى... الوضع في غاية الصعوبة.. لن أتكيف معهم ولو بعد مليون يوم.

سألني في اهتمام : أين ستذهبين؟

قلت في حيرة : لا أعلم ...

نزل الدرج وهو يحمل حقيبتي وأنا صامتة أفكر في هذا المأزق الذي أوقعت نفسي فيه.

- هل تسمحين لي ......

قاطعته في حدة : بالطبع لا.

قال في دهشة: هل تعرفين ما الذي كنت سأقوله؟

أجبته في ثقة: أكيد.. وإجابتي هي لا.

نظر لي في تعجب وقال: "غريبة"...... صمت برهة ثم أكمل:

- كنت سأعرض عليك المكوث عند صديقة لي حتى تجدي مكانًا آخر.

نظرت له في حرج شديد ولم أنطق.

ابتسم في تشجيع وهو يقول: هيا ولا داعي لشكري الآن.

ابتسمت بالرغم عني، وغمغمت في خفوت : شكرًا لك .

في إحدى البنايات القديمة رحبت بي "كاثرين" كثيرًا, عرفت أنهم أصدقاء من مدة طويلة.. شقتها كانت صغيرة ولكنها دافئة وجميلة, لم تمكث معي كثيرًا فلديها عمل ولا بد أن تذهب في الحال.

الحياة هنا تسير بإيقاع سريع وقت العمل مقدس فلا أي شيء آخر ممكن أن يشغلهم أو يعطلهم عنه أما وقت الراحة والعطل فأيضا هي للمرح والراحة دون الخوض أو الحديث عن أي شيء يخص العمل.

لم يتركني "كريم" خلال الفترة التي قضيتها في شقة "كاثرين" كان يمر ويصحبني للجامعة ونعود معًا ليبحث معي عن سكن مناسب لمدخراتي وأيضًا يكون قريبًا من الجامعة.

الحقيقة أنني أتعجب وأعجز عن وصف إحساسى "بكريم" كيف أتعامل معه بهذا الشكل السلس البسيط؟ وكأنه فرد من عائلتى أو كأنه صديق قديم, كيف نضحك ونتحدث ونتجول سويًّا دون أي حرج أو خوف؟ وأنا التي كنت أعجز عن الحديث مع أي شاب طوال حياتي .

لا أعلم السبب وراء ذلك قد يكون هو... أسلوبه ...بساطته ....طريقته في إدارة الحوار... شعورى طوال الوقت أنه مسئول عنى بشكل أو بآخر.... خوفه على.

شعور عارم بالراحة أن هناك شخصًا أستطيع أن أعتمد عليه وأن ألجأ إليه وقت الشدة .

أما "كاثرين" فقد وجدت لي وظيفة معها في نفس الفندق الذي تعمل فيه موظفة استقبال سرعان ما تألفت معها وأحببت صحبتها.

في يوم العطلة أيقظتني في الصباح الباكر لأمارس معها رياضة الجري ضحكت من قلبي وأنا أحاول أن أشرح لها أنني لا أمارس أي رياضة من أي نوع وقد أصابها هذا بنوع من الصدمة وهي تقول لي إنني بهذا أدمر صحتي وأقضي على شبابي خلال فترة قصيرة .

ارتديت ثيابي في عجل وهي تصيح بي إننا بهذا سنفوت على أنفسنا أشعة الشمس الدافئة.. أخذت أعدو خلفها وأنا أشعر بأنفاسي المتقطعة وقلبي الذي سيتوقف.

أقف تارة وأركض خلفها تارة أخرى وهي مستمرة في حديثها عن فوائد الرياضة وخاصة الركض في الصباح.

بعد مدة من الركض رأفت بحالي فجلسنا في إحدى الحدائق العامة القريبة منا, ناولتني زجاجة ماء.. ابتسمت لها وما إن رفعت الزجاجة لأشرب فسألتني في جد: هل هناك أي علاقة بينك وبين "كريم"....؟

انحشر الماء في فمي وسال مني وأغرق ملابسي وأنا أسعل في حدة, أخرجت منديلًا من حقيبتها وأخذت تمسح الماء من ملابسي وهي تعتذر في حرج : "أعتذر لو تدخلت في حياتك".

سعلت بقوة وقلت لها: "لا... لا مشكلة ...لقد تعرفت على "كريم" في نفس اليوم الذي تعرفت عليك فيه وسكنت معك".

سألتني في دهشة: ألم تكوني على معرفة به من قبل؟

شربت القليل من الماء وهززت رأسي: لا.

قالت بتعجب: غريب.

لم أفهم ماذا تقصد, ساد صمت بيننا لبرهة ثم سألتها: وأنت منذ متى تعرفينه؟

أجابتني مبتسمة: منذ مدة طويلة تعرفت عليه في الجامعة وظللنا سويا فترة...."كريم" مرح ورائع ومحبوب من كل أصدقائنا ولكننا انفصلنا بعد فترة ومازلنا أصدقاء مقربين.

أصابني الدوار للحظة قلت لها وأنا أحاول أن أجد الكلمات التي اختفت من فمي: انتظرى لحظة أنا لا أفهم, هل تقصدين أنكما كنتما متزوجين وانفصلتما؟

ضحكت وقالت:

-" لا ..لا نحن لم نصل لمرحلة الزواج "كريم" هو (my exboy frind) حببي القديم.

ابتسمت في سخرية وأنا أقول لها: وما زلتما صديقين؟

قالت في مرح: نعم "كريم "هو أفضل صديق لي ...وأنت؟

نظرت لها في ارتباك : وأنا ماذا؟

- ألا يوجد في حياتك حبيب ؟

ابتسمت في مرارة وأنا أقول لها: نعم يوجد ولكنه حب من طرف واحد أسوأ أنواع الحب وأكثرها عذابًا .. فيه تحكمين على قلبك بالإعدام مع وقف التنفيذ.

قالت في أسى: أوه .....لا تحزني سوف تجدين هنا الكثير من الشباب والحب, وغمزت لي بعينيها وهي تقول: والمرح ..

نظرت لها في ذعر وقلت لها: لا ...... لا أريد أي شيء مما تقولين لا الحب ولا المرح.. أنا هنا للدارسة والنسيان.. أريد أن أبدأ حياتي من جديد.. أتيت إلى هنا هربًا من الماضي ولا أرغب في أي علاقة من أي نوع مع أي أحد.. هذا لو فهمت ما قلته لك.

أجابتني : آه ..نعم نعم فهمت .

ثم وقفت وقفزت وهي تضحك وتقول: إذا أردتِ بداية جديدة فليكن أول ما تفعله المرأة هو أن تغير في شكلها وشعرها وتصبح هي الأخرى إنسانة جديدة من الخارج والداخل.

نظرت لها في عدم فهم وأنا ألمس شعرى الطويل المنسدل على كتفي.

فأسرعت قائلة: فلتتركي لي نفسك وسوف ترين.... الآن نعود للمنزل ونتناول الإفطار وسوف أهتم بكل شيء بعد ذلك لا تقلقي .

قررت أن أتوقف عن القلق بخصوص كل شيء وأن أترك نفسي "لكاثرين" ولكن هل سأنجح في أول اختبار لي هل سأستطيع؟

ما زلت أحمل في حقيبتي صورته كانت أول شيء وضعته في حقيبة سفري وأنا أستعد للسفر.. أول وآخر ما تقع عليه عيني عندما أصحو وقبل أن أنام, فبرغم الألم والجرح الغائر في قلبي إلا أنني لم أستطع أن أمزقها أو أتركها وأرحل, هذه الصورة هي كل ما تبقى لي منه .

داخل صالون التجميل نظرت لنفسي في المرآة بذعر وأنا أرى فتاة تقف خلفي تحمل المقص وعلى وجهها ابتسامة كلها شماتة وفرح شديدان.

نظرت لي" كاثرين" مشجعة, أغمضت عيني وأنا أدعو الله ألا أندم على هذا القرار الصعب.

قالت "كاثرين ": إن المرأة إذا استطاعت إن تستغنى عن شعرها ببساطة تستطيع أن تستغنى عن العالم بأسره وليس عن رجل واحد.

فتحت عيني ونظرت لها في شك, فهزت رأسها وابتسمت.

ارتفع رنين هاتفي فأسرعت حيث هو فإذا هو "كريم".., أجبته في عجل قبل أن يتكلم: "أعلم أنني تأخرت, ثانية واحدة وستجدني أمامك سلام.

أغلقت الهاتف وألقيت به في حقيبتي بسرعة وأسرعت إلى الغرفة لألتقط كتبي أما الحذاء فارتديت إحدى الاثنتين داخل الشقة والأخرى على السلم وأنا أركض وما إن فتحت باب البناية حتى وجدته وقد استند

بجسده على الباب فسقط على الأرض عندما فتحت الباب بقوة فضحكت بقوة وهو في حالة من الارتباك .

قال لي: ما هذا الذي فعلته يا آنسة؟ كان من الممكن أن أتأذى..

لم أتوقف عن الضحك بل على العكس وقد أغضبه الأمر فاقترب مني وقال : هل الأمر إلى هذا الحد مضحك؟

قلت وسط ضحكاتي: أعتذر ..لكن ...

لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك.

تركني في غضب واتجه لداخل البناية واتجه للسلم المؤدي إلى الأعلى وأخذ ينادي عليَّ وينظر لي في غيظ.

نظرت له في دهشة واقتربت منه فقال في حنق:

نعم ماذا تريدين الآن.؟... هل انتهيت من الضحك أم تريدين المزيد؟

ضحكت وأنا أضع يدي على فمي فازداد حنقه وأخذ يصرخ بأعلى صوته: "هنا" ..."هنا" ....."هنا".

تمالكت نفسي وأجبته في هدوء: نعم أنا هنا.

استدار في بطء ونظر لي مندهشًا وقال : هل قلت شيئًا يا آنسة؟

ابتسمت وأنا أقول : أنا "هَنا " وأنا هُنا منذ مدة طويلة.

فتح فمه في دهشة وأخذ ينظر لي في تمعن ويفتح عينه ويغلقها قلت له بسخرية : ليس إلى هذا الحد فلم أتغير كثيرًا .

قال وما زالت آثار الدهشة على وجهه : "هنا" لا أصدق..... ماذا فعلت في نفسك؟ لقد أصبحت فاتنة .

تصنعت الغضب وقلت له: ماذا تقصد؟ ألم أكن جميلة من قبل؟

أجابنى سريعًا: بلى أنت جميلة دائمًا, ولكن...

ونظر إلى شعرى فاضطربت ووجدت يدي تتلمس شعري لا إراديًّا.

أكمل: لقد قصصتِ شعرك.

سألته في حذر: هل هو سيئ؟

نظر لي في إعجاب وقال: على العكس لقد تحولت من طفلة إلى امرأة بين ليلة وضحاها........

سألته وأنا أشير إلى عيني: والعدسات اللاصقة ؟

- زادتك سحرًا.........

ابتسمت في خجل... هيا ألم نتأخر بما فيه الكفاية؟

- ها.... نعم هيا.

خرجنا من البناية وسرنا معا ولم ألاحظ " كاثرين" التي كانت تراقبني منذ أن خرجت من الشقة وفي عينها ارتسمت الغيرة واضحة.

كنت أنظر له طوال الطريق بين الحين والآخر نظرات جانبيه لأراه ينظر لي مباشرة.

كان اليوم متعبًا ومرهقًا، كنت أحمل عبء العمل، لا بد أن أعود سريعًا إلى المنزل لأبدل ملابسي وأنطلق بسرعة إلى حيث أعمل، كما أن أحد السماسرة اتصل بي لقد وجد لي شقة أخيرًا في مكان قريب وإيجار مناسب, للأسف لم يكن لدي وقت للذهاب إليه، واضطررت أن أؤجل هذا الأمر لنهاية الأسبوع.

ما إن خرجت من مبنى الكلية حتى وجدته أمامي يستند على إحدى السيارات ويلهو بهاتفه, اقتربت منه وقلت مداعبة : هل تنتظر أحدا غيري؟

أجابني في عتاب: لماذا تأخرت؟ أنا هنا منذ أكثر من ساعة.

قلت متعجبة: لماذا ....ألم يكن لديك أي محاضرات اليوم؟

- بلى ...لكن .

- "كريم" لا بد أن تهتم بدراستك أكثر من هذا؟

- "هنا" ....في الحقيقة هناك ما يشغلني فلم أستطع أن أركز في أي شيء اليوم.

سرت أمامه وأنا أقول:

لا يجب أن يشغلك أي شيء عن دراستك فهي أهم شيء.

قال فجأة : والحب..........

تجمدت للحظة في مكاني ثم استدرت ونظرت في تساؤل.

اقترب مني خطوة وهو ينظر لي؛ فرجعت خطوة للخلف, دهش لردة فعلي, أحسست أنه كان سيقول لي شيئا ولكنه تراجع، نظر في ساعته وقال لي بمرح وهو يغير الموضوع : "أعتقد أنك ستتأخرين عن عملك اليوم؟".

نظرت في ساعتي وصرخت: يا إلهي معك حق لقد تأخرت لا بد أن أستقل سيارة أجرة مع أن الميزانية يعني....

- لا عليك أنا من سيدفع؟

ابتسمت وأنا أقول: واضح أن الحالة متيسرة.

- أنا تحت أمرك يا أميرتي .

ضحكت وقلت له: إذن هيا بسرعة قبل أن أحتاج إلى طائرة وليس سيارة لأصل على الموعد.

هبطت من التاكسي أمام البناية وأنا أضحك على ما يقوله "كريم"، كان يحكي لي عن أوائل أيامه هنا وما تعرض له من مواقف محرجة في بداية وجوده، رفعت رأسي لأعلى لأجد "كاثرين" تنظر لنا في حنق من النافذة.

ذابت ضحكاتنا معا ونحن ننظر لها سويا والتقت نظراتنا للحظة وقال لي: هل أنتظرك هنا لأوصلك إلى العمل؟

قلت له بتجهم : لا داعي. الأفضل أن تذهب وأنا سأذهب بمفردي.

قال في تصميم: بل سأنتظر هنا حتى نذهب سويا.

رفعت عيني لأعلى فوجدتها كما هي تنظر إلينا في فتور وفي يدها كأس شراب.

- "كريم" من الأفضل أن تذهب.

نظر هو الآخر لأعلى ثم نظر لي وقال:

- تعرفين سوف أصعد معك إلى لأعلى.

جذبته من حقيبته المعلقة على كتفه قبل أن يبلغ الباب وقلت له في توتر: "كريم" أرجوك أن تذهب، أشعر في داخلي أن اليوم لن يمر بسلام .

صاح في غضب : "هنا" نحن لا نفعل أي شيء خطأ أو يسيء لأحد.

قلت في رجاء: أرجوك أن تذهب, أنا سأبدل ملابسي وأذهب من فوري أيضا وفي الصباح سنتحدث.

- حسنا.. سأذهب ولكن سأنتظر منك اتصالا اطمئن عليك.

نظرت له في رجاء: حسنا هيا الآن.

ما إن ذهب حتى نظرت مرة أخرى لأعلى ولكني لم أجدها، أخذت نفسًا عميقًا ودخلت إلى البناية وصعدت للشقة لأجد الباب مفتوحًا.

دخلت فوجدتها تجلس أمامي في لا مبالاة, قلت لها: مرحبا..........

فلم تجب ولم أنتظر ردها، حاولت أن أتفادى ما يمكن أن يحدث فاتجهت إلى غرفتي وقبل أن ألمس مقبض الباب سمعتها تصرخ فيَّ: ... كاذبة.

التفت إليها في صمت فقامت من مكانها وما زال كأس الشراب في يديها، واتجهت نحوى وهي تقول: أنتما تخدعاني وبينكما شيء ما .

سألتها في ارتباك : عمَّن تتحدثين؟

صرخت في حدة : عن "كريم".

نظرت لها في دهشه وأنا أردد: "كريم", ماذا تقولين.... لا شيء بيني وبين "كريم" سوى الصداقة .

أطلقت ضحكه رنانة وألقت ما تبقى من الكأس في فمها وقالت: صداقة!! نعم نعم فهذا واضح.

قلت في حدة : أنت حرة أن تصدقي أو لا تصدقي ولكنها الحقيقة .

تركتها ودخلت إلى الغرفة فأتت خلفي وهي تنظر لي في سخرية، قلت لها في غضب: هل خرجتِ؟ من فضلك أريد أن أبدل ملابسي.

زادت ابتسامتها واتجهت إلى السرير وألقت بنفسها عليه وهي تقول: ولكنه منزلي ولا يحق لك أن تملى عليَّ ما أفعله.

نظرت لها في فهم وقلت لها: نعم معك حق ولذلك لن أظل هنا دقيقة أخرى, اسمحي لي أن أجمع أشيائي وسأذهب في الحال.

أشارت لي بيديها بالموافقة وتركتني وانصرفت .

ما إن خرجت حتى جلست على أقرب مقعد ماذا سأفعل الآن وأين سأذهب؟

جمعت أشيائي وملابسي في عجل، فكرت للحظة أن أتصل "بكريم" ولكنني عدلت عن الفكرة، لا بد أن أحاول أن أفكر بسرعة وأعتمد على نفسي، لقد تأخرت عن العمل أيضا. أتمنى من الله ألا أُطرَدَ منه أيضا.

ليتها تركتني حتى الصباح، خرجت من الغرفة فوجدتها تجلس كما هي بلا مبالاة، اقتربت منها وقلت لها في امتنان: أشكرك كثيرًا على حسن ضيافتك طوال الفترة الماضية وأعتذر لو كنت أثقلت عليك .....لن أنسى ما فعلتِه من أجلي.

نظرت لي للحظة، كانت ستقول شيئا ما ولكنها تراجعت، قامت من مكانها واتجهت إلى غرفتها وأغلقت الباب.

وقفت للحظة أنظر إلى الشقة وألف فكرة وفكرة تدورُ في رأسي، ما لبثت أن استسلمت وخرجت وأغلقت الباب خلفي .

استقللت سيارة أجرة واتجهت إلى الفندق الذي أعمل به, ما إن وصلت واتجهت إلى الداخل حتى وجدت "إيسلي" زميلتي في العمل تقول لي في عجل: أين كنت؟ لقد تأخرت كثيرا؛ المدير غاضب ويريدك في مكتبه على الفور .

نظرت لها وأنا على وشك البكاء، وقبل أن أرد عليها لمحت الذعر في عينها وهي تنظر لشيء ما خلفي، نظرت لها في تركيز لأفهم ما يجرى خلفي فأشارت لي بطرف إصبعها ثم خفضت عينها وتركتني وانصرفت .

أخذت نفسًا عميقًا وأغمضت عيني وأنا أتخيل شكله الأرستقراطي الغاضب الحانق دائما بسبب وبدون سبب، وقبعته العالية التي يرتديها دائما والتي نادرًا ما يكون بدونها والتي أتمنى لو نزعتها عن رأسه ومزقتها شر تمزيق .

استدرت فوجدته أمامي، مستر "ألبرت" مدير الفندق ينظر لي والنيران

تتصاعد من عينه, حاولت أن أبتسم ولكنني فشلت.

قال في غضب وهو ينظر في ساعته: لقد تأخرت أكثر من ساعة.

- أعتذر يا مستر "ألبرت" ما حدث أن ....

قاطعني في حدة : لا أريد أي أعذار.

قلت في ارتباك: سيدي لم أقصد أن ...

قاطعني في حدة : قلت لك لا أعذار.

- إنها أول وآخر مرة .

أجابني في صرامة: لن يكون هناك مرة قادمة والأفضل لك أن تأتي في موعدك بالضبط.

- حسنا يا سيدي.

- هيا إلى عملك وسوف أخصم منك هذا الوقت المهدر.

قلت في نفسي: خصم لا مشكلة أفضل من عدم وجود عمل .

انشغلت بالعمل عن التفكير وإن كنت بين حين وآخر أنظر إلى حقيبتي الملقاة في أحد الأركان وأنا أردد أين سأظل للصباح؟

انتهت مناوبتي ولكنني ظللت مكاني، اقتربت "إيسلي" وهي تقول:

- لقد انتهت ساعات العمل ألن تذهبي فنذهب سويا؟

نظرت لها في تعب وقلت لها: للأسف لا مكان أذهب اليه .

سألتني في اهتمام : لماذا ؟ ماذا حدث؟

- لقد تركت الشقة التي كنت أسكن بها ولا يوجد مكان يمكن أن أذهب إليه؟

نظرت لي في أسى وقالت: وماذا ستفعلين الآن ؟

نظرت لها في غيظ وقلت في نفسي: "وأنا التي اعتقدت أنك ستطلبين مني المكوث معك"، قلت لها بملل:

- لا أدري .

تصاعد رنين الهاتف في يديها، نظرت له للحظة ثم اعتذرت مني وتركتني وانصرفت .

نظرت لها في غيظ شديد: ماذا سأفعل الآن؟

هنا سمعت من ينادي باسمي بخفوت، نظرت حولي فإذا هو "إليكس" من استلم المناوبة بدلا عني.

اتجهت إليه: نعم...

سألني في دهشة : لماذا ما زلت هنا؟

نظرت له ولم أجب.

مستر "ألبرت" لن يعجبه هذا .

- "إليكس" أنا أحتاج إلى غرفه أبيت فيها حتى الصباح.

نظر في عدم فهم...

فأكملت: لقد تركت الشقة التي كنت أسكن فيها ولا مكان لي أبيت فيه .

هز رأسه وقال بخفوت وهو يبتسم :

تعالَيْ معي....... لا تلفتي الانتباه .

أخذتُ حقيبتي وسرت خلفه إلى آخر ممر الاستقبال في توتر والأفكار في رأسي تتصارع.

حتى وقف أمام باب غرفة وأخرج مفتاحها من جيبه وفتح الباب

ودخل وأشار لي بيده لأتبعه ولكنني تجمدت مكاني.

نظر لي في تعجب وهو يشير بيده عدة مرات ويقول بصوت خفيض: "هيا ادخلي".

أشرت له برأسي: لا ....

تقدم مني وأخذ يجذب الحقيبة وأنا أقاوم وأجذبها للناحية الأخرى حتى خارت مقاومتي وتركتها, ليسقط والحقيبة فوقه، ضحكت من قلبي وهو ينظر لي في غضب.

وضعت يدي على فمي وأشرت له أنه فليكفي لهذا الحد، فأشار لي بحزم أن أدخل الغرفة, أخذت نفسا عميقا ودخلت في توجس فأغلق الباب في رفق, وما إن انغلق الباب حتى هتفت به ما الذي تفعله؟

فقال في خفوت: اهدئي لا أريد لأحد أن يسمع.

- "إليكس" أنا لا أفهم .

- هلا صمتِّ قليلا وأعطيتِني فرصة لأشرح لك .

أشرت بيدي أنني سوف أصمت فلتبدأ.

نظر لي للحظة وابتسم ثم قال: أنت دائما هكذا .

قلت في عدم فهم : هكذا ماذا؟

- كثيرة الكلام مندفعة.

- أنا... إنني ..لا .

أشار لي بيده أن أصمت .

عقدت حاجبيَّ في ضيق فقال بابتسامة: هذه الغرفة لي.

كنت سأصيح به ولكنه أشار لي ألا أنطق, صمت رغمًا عني فأكمل:

لا أحد يعلم بهذا الأمر وأرجو ألا تقولي لأي أحد عن الأمر, سوف أتركك الآن هنا وسوف تنتهي ساعات عملي في الصباح ولن أزعجك حتى تخرجي منها .

نظرت له في امتنان: "إليكس" لا أعلم كيف أشكرك؟.

قال في ود : لا داعي للشكر، نوما هنيئا .

شكرا لك ...

تركني وانصرف فألقيت نفسي على السرير وأنا أهتف من أعماقي يا رب لك الحمد.

نظرت نحو الباب فوجدت المفتاح, أسرعت وأوصدت الباب, كنت في شدة التعب وبرغم كل ما أشعر به وما حدث إلا أنني لم أستطع أن أنام قبل أن ألقي نظرة على صورته وأقول له في خفوت: تصبح على خير.

بعدها ذبت في نوم عميق حالما وضعت رأسي على المخدة .

* * *

- آلو .....هاي "كريم".
- آلو ...هاي " كاثرين "........ كيف حالك؟
- "كريم": هل أستطيع أن أتحدث إلى "هنا"؟
- "كاثرين" هل كل شيء بخير ؟
- "كريم" هل "هنا" معك؟
- "هنا"؟ ....لا لقد تركتها بالأمس أمام البناية وانصرفت....."كاثرين"

ماذا حدث؟

- لا أعلم يا "كريم" كنت غاضبة قليلا وشربت الكثير، تشاجرنا، لا أتذكر سوى أنني تركتها في غرفتها وعندما استيقظت لم أجدها ولم أجد أمتعتها.

- "كاثرين" ماذا فعلتِ ؟

- "كريم" قلت لك إنني لم أكن واعية لما حدث ؟

- حسنا ...سلام .

ترى أين أنت الآن يا "هنا" ؟ قالها "كريم" في قلق.

❋ ❋ ❋

كنت أسير في طريق طويل، تعبت فوجدت صخرة على الأرض جلست وأنا أنظر حولي لا أعلم أين أنا.

رأيته من بعيد لم أر وجهه ولكنني عرفته أنه فارس أحلامي, شعَرت بقلبي سيقفز بين ضلوعي أسرعت حيث هو وأنا متلهفة للحظة التي سأرى وجهه، لمست كتفه بيده فاستدار ببطء ليصبح "كريم ", نظرت له في دهشة فابتسم، وفجأة أتى القطار وارتفعت صافرته بقوة فوضعت يدي على أذني في انزعاج هتف بقوة ..... "هنا" هيا وصوت طرقات تدوى في رأسي بعنف.

انتفضت أنظر حولي وأنا أتذكر..... نعم لقد نمت في غرفة "إليكس" ما زلت بملابسي, صوت الطرقات على الباب عاد.

نظرت بسرعه في الساعة، يااااااه لقد تعدت الساعة الثامنة،

أسرعت إلى الباب.

- "إليكس" صباح الخير.

- صباح الخير، أعتذر لو أزعجتك.

- لا على العكس تماما أنا أعتذر لك لقد تأخرت، ذبت في نوم عميق ولم أستيقظ إلا الآن .

- لا أقصد أن أزعجك إن كنتِ تريدين أن تظلي قليلا.

قاطعته في إصرار: لا...... لا أشكرك كثيرا، لقد أثقلت عليك سآخذ حقيبتي وأسرع إلى الجامعة.

نظرت له في امتنان وقلت: شكرا لك، لن أنسى صنيعك هذا.

ابتسم وقال : لا تشغلي بالك سوف يأتي يوم وتردين لي هذه الخدمة.

- وأنا مستعده في أي وقت.

- إذن هيا سوف تتأخرين، ولكن بحذر حتى لا يراك مستر "البرت".

سألته في توتر: هل هو بالخارج؟

- إنه بمكتبه، هيا قبل أن يتركه ويخرج ليتفقد المكان .

حملت حقيبتي ونظرت للغرفة لحظة؛ هل نسيت أي شيء؟ وخرجت وأنا أتلفت حولي حتى أصبحت بالخارج, أخرجت هاتفي من الحقيبة، يا ألله لقد فرغت البطارية, حسنا لا بد أن أذهب إلى السنترال, لا بد أن أجد حلا لموضوع السكن والكلية لن أستطيع أن أذهب اليوم و"كريم "....بالتأكيد سيصيبه القلق.

ذهبت إلى محطة الباص ومنه إلى السنترال أجريت مكالمة بالسمسار

واتفقت معه أن ألتقيه بعد ساعة ثم اتصلت "بكريم ".

- "كريم"....

- "هَنا " الحمد لله أين أنتِ؟ أنا في شدة القلق عليك.

- "كريم" أعطني الفرصة لأشرح لك.

- "كاثرين" أيضا قلقة عليك.

أجبته في سخرية: حقا؟

- "هنا" ماذا حدث بالأمس؟ ولماذا لم تتحدثي معي؟

- "كريم" اهدأ وقابلني في العنوان التالي......بعد ساعة.

- حسنا ولكن....

قاطعته: عندما تأتي سأقص عليك كل شيء.

- سلام.

نظرت في الساعة ما زال هناك وقت, اتجهت لأقرب مطعم؛ أشعر بالجوع الشديد فلم آكل منذ الأمس، فلما انتهيت انطلقت للعنوان الذي أعطاه لي السمسار فوجدت "كريم" أمام البناية، رآني فأتى يهرول:

- ماذا حدث؟

- "كريم" سوف أقص عليك كل شيء ولكن ليس الآن.

- هل أنتِ بخير؟

- نعم شكرا لك وأعتذر لو كنت السبب في عدم ذهابك للجامعة اليوم.

- لا مشكله المهم أنني اطمأننت عليك.

لحظات ورأيت السيد "إبراهام" السمسار مقبلا علينا.

- صباح الخير.

- صباح الخير, سيد" إبراهام", "كريم "صديقي .

- سعدت بمقابلتك .

- آمل ألا أكون قد تأخرت؟

- لا لقد وصلنا للتو.

- حسنا هيا لترى الشقة.

تجولنا في الشقة، إنها صغيرةٌ ولكنَّها جميلة وقريبة من مكان العمل .

نظر لي السيد " إبراهام "في تساؤل: هل أعجبتك الشقة؟

نظر لي "كريم" وابتسم, فضحكت وقلت: إنها رائعة .

* * *

أخذت أرتب ملابسي في الدولاب وكتبي على المكتب الصغير الموجود في ركن الصالة، أما "كريم" فقد ذهب ليشتري لي بعض الأشياء الضرورية للمطبخ من مأكولات وغيرها كنت في غاية السعادة أخيرا صار لي بيت .

بيتي أنا ولست ضيفة على أي أحد جال في خاطري، أيام طويلة قضيتها في بيت خالي وأنا أشعر بأنني حمل ثقيل عليه، وحتى هنا كنت أشعر بالضياع هذه المرة الأولى منذ زمن بعيد أشعر بالراحة والسعادة.

أخرجت صورته ببطء من حقيبتي وأخذت أنظر لها في عمق, أشعر بنظراته الجامدة تلمس أوتار قلبي، حتى وإن كان مجرد وهم ولكنه يمنحني شعورًا بالرضا يطفئ ظمأ قلبي العطشان إليه مجرد أشياء في قلبي وعقلي أنا فقط.

ترى هل شعر بي لحظة واحدة؟ هل يعرف بوجودي؟ عندما نظر لي

أول مرة هل أحس بمشاعري؟ تنهدت وابتسمت بسخرية وقلت له بصوت عال: هل ترى إلى أين وصلت تلك المعتوهة؟ من كان يتخيل ما أنا فيه الآن؟ حتى في أكثر أحلامي جموحا لم أتصور حياتي بهذا الشكل.

نظرت في المرآة المواجهة لي، واقتربت منها وأنا ألمس شعري وأتفقد وجهي والعدسات اللاصقة في عيني، لقد تغيرت كثيرا حقا لم يكن "كريم" يهذي.

آه يا "كريم" ليس لي سواك هنا وأشعر بما في نفسك، ولكنني عاجزة عن أي شيء تجاهك، فقلبي ملك لرجل آخر لا يعلم عنه شيئا ولا يدري بوجوده .

رفعت الصورة ونظرت لها قليلا ثم علقتها على الجدار المقابل لطاولة الطعام في الصالة فاحتلت جزءا كبيرا من الجدار، وجلست أنظر إليها ستكون معي رغما عنك شئت أم أبيت .

سمعت طرقات على باب الشقة، هذا "كريم" لقد مر الوقت سريعا.

فتحت الباب لأجده محملا بأكياس كثيرة.

قال بسرعة: ساعديني ستسقط الأشياء مني.

- حسنا لحظة، ما كل هذه الأشياء؟

- إنها ضرورية .

- كل هذا؟... "كريم" هذا كثير.

- هدية المنزل الجديد .

- مستحيل سوف أدفع لك ثمنها بالكامل .

- لن آخذ شيئا.

نظرت له في عناد وقلت وأنا أحملها من جديد: إذًا خذها معك.

- اتركيها يا مجنونة، سوف تسقط منك .
- أنا جادة، لا بد أن أدفع لك ثمن كل هذه الأشياء.
- حسنا حسنا سوف آخذها من راتبك الجديد.
نظرت له في شك: "كريم" أنا جادة حقا.
قال في استسلام: وأنا كذلك....اتفقنا .
مد لي يده مصافحا، فابتسمت ومددت يدى وأنا أقول: اتفقنا.
- والآن أريد أن أرى الشقة مرة أخرى، هل رتبتِ أغراضك؟
- نعم، كل شيء في مكانه, تعال لأُريك ...

سرت أمامه في سعادة وأنا أقول له: كما ترى الصالة هنا بها مكتب صغير وطاولة وجهاز التلفاز.

أشرت إلى المطبخ: وهنا يا سيدي كما ترى المطبخ، حاليا هو فارغ لا يوجد به أي شيء ولكنه بعد قليل سيكون مليئا بكل ما جلبته من أجلي.

توقفت ونظرت خلفي لأجده ينظر إلى الجدار، وبالتحديد إلى الصورة العملاقة التي احتلت الجدار.

-"كريم"..........

قلتها في ارتباك .

ابتسم وقال لي في مرح : لم أكن أعلم أنك من محبي كرة القدم.

ابتسمت في توتر فأكمل: لم أكن أتخيل أنني سأجد صورة لاعب كرة قدم في منزلك.

- هااه .. نعم معك حق، لقد نسيت أمر الصورة للحظة، هيا هيا بنا نرتب المطبخ سويا.

نظر لي وابتسم: نعم هيا ......أنا اليوم تحت أمرك.

ابتسمت في قلق فسبقني لداخل المطبخ.

نظرت للصورة للحظة.. نظرت لعينيه الجامدة، وخفق قلبي وسؤال حائر يتردد في جنباته: إلى متى سأظل أحملك في قلبي ؟

* * *

تصاعد صوت الهاتف من جديد، أسرعت إليه

- آلو

- "هَنا "

- حبيبي لقد تأخرت كثيرا، أين أنت؟

- "هنا" ....لن آتي؟

أحسست بالأرض تميد بي. ....

- "هنا"؟........."هنا"؟

تحشرج صوتي وأنا أسأله: لماذا؟

- لقد وقع لي حادث تصادم.

سألته في لهفة: أأنت بخير؟ أين أنت لآتي إليك؟

- أنا بخير، لا تقلقي، لقد اصطدمت السيارة فقط، ولكن أنت تعرفين هناك شرطة ومحضر وأشياء كثيرة.

- ولكنك بخير، أليس كذلك؟

- نعم لا تقلقي.

- إذن لن تأتي اليوم.

- سأحاول وإن استطعت سيكون بعد عدة ساعات .

- سأنتظرك.

- وإن لم أستطع سأكون أمامك في الغد.

سألته في شك : هل حقا ستأتي؟

- ....نعم

- أتعدني بذلك؟

- أعدك أنني سوف آتي إليك مهما كان الأمر.... سآتي .

وضعت سماعة الهاتف وجلست على أقرب كرسي, قلبي يخفق بذعر، أسمع صوته يصرخ لن يأتي, لقد صدق "كريم".

أقف أصرخ بقوة : سيأتي لقد وعدني.

أسمع صوته مرة أخرى يضحك في شفقة: أنت تعلمين أنه لن يأتي؟

تركت نفسي أسقط أرضًا وأنا أبكي، يا لهذا الألم وخيبات الأمل التي لن تنتهي أبعد إن وجدته بعد أن قال لي: إنه يحبني ولن يبتعد عني إلى الأبد, أبعد كل ما مر بنا؟ ولماذا الآن؟، واليوم بعد أن استعددت ومنَّيت نفسي بأن ما حلمت به سوف يتحقق.

اليوم بعد أن هدمت كل شيء، حطمت كل شيء لأجلك.

خسرت "كريم".

آه ....آه من الألم الذي يعتصر روحي.

آه ....أصرخ بها من داخل أعماقي.

ظللت أبكي لا أعلم إلى متى أقول لنفسي سأنتظره كما قال لي: سأنتظر

إلى الغد سيأتي.... سيأتي.

أمسكت بهاتفي وجلست على الكرسي بجوار النافذة أنظر إليها في شرود وأتذكر، ولم أكن أعلم أن هناك من يجلس أمام البناية في سيارته يراقبني في صمت .

* * *

بعد أن فرغت من ترتيب الشقة وقفت أنظر لها في فرح لقد تركني "كريم" منذ فترة وذهب وأنا الأخرى لا بد أن أذهب إلى العمل، نظرت لها مرة أخرى وأخذت حقيبتي وانصرفت .

وعندما وصلت وجدت "كاثرين" أمامي تنظر لي في حرج.

اقتربت منها وسلمت عليها فأجابتني في أسًى: "هنا" أعتذر عما حدث بيننا لم أكن أعي ما أقول.

- "كاثرين" لا عليك لم يحدث شيء.

- "هنا" أرجو أن تقبلي اعتذاري.

- صدقيني لم يحدث شيء.

نظرت لي في خجل وقالت في خفوت : لقد أحسست بالغيرة منك.

نظرت لها في صمت وعقلي يردد: أود أن أحييك على شجاعتك تلك.

فأكملت: أقصد من اهتمام" كريم" بك .

أجبتها في ثقة: لا يوجد بيني وبين "كريم " أي شيء نحن أصدقاء فقط.

نظرت لي بشك للحظة ثم قالت: إذن عودي معي إلى البيت.

- لا أستطيع.

- ما زلت غاضبة مني؟
- لا لقد قلت لك أنني لست كذلك، كل ما هنالك أنني استأجرت شقة.
- حقا؟
- نعم وهي رائعة وسوف أدعوك لزيارتي يوما؟
ابتسمت وقالت: وأنا سأنتظر دعوتك.
- "كاثرين" أشكرك على كل ما فعلتِه من أجلي.
- "هنا " إنك بهذه الكلمات تحرجينني أكثر.
- على العكس أنا لن أنسى وقوفك بجانبي واستضافتك لي في منزلك، وأيضا أنت من وجد لي هذا العمل.

ابتسمت لي ومدت يدها لي مصافحة فابتسمت وجذبتها معانقة أيها وهي مندهشة من تصرفي وما إن افترقنا حتى وجدت مستر "ألبرت" ينظر لي وقد عقد حاجبيه فأشرت في صمت إلى الساعة في يدي وإنني جئت مبكرة اليوم ولم أتأخر نظر لي وقد عقد حاجبيه وتركني وانصرف تنفست الصاعدة وذهبت مباشرة إلى عملي.

مرت الأيام وأنا بين الجامعة وعملي في الفندق, كنت كثيرا ما أجلس أمام صورته أتحدث معه وأقص عليه تفاصيل يومي وكأنه يعيش معي وعلى صورته كنت أعلق كل الأوراق والمذكرات المهمة حتى لم يبقَ ظاهرا من الصورة إلا عيناه فقط.

يقولون إن البعيد عن العين بعيد عن القلب، كذبوا فكل يوم يمر عليَّ

وأنا بعيدة عنك يزيد حبي وشوقي إليك أنظر إلى صورتك أتحدث معك أفكر فيك أكثر، فأنت معي طوال الوقت أحملك في قلبي وعقلي وروحي في كل جنبات المنزل في أفكاري حتى في نومى أكتب إليك. نعم أكتب إليك خطابات طويلة مليئة بالكثير من الحب واللهفة والمغامرات .

خطابات أعلم أنك لن تقرأها ولن تراها يوما أظل أردد اسمك وأكتبه كثيرا أراك تبتسم لي وتضحك في مرح إذا علمت بهذا الأمر.

أشعر بأن قلبي توقف عن الحياة عن النبض, إلا باسمك, إلا بعينيك ونظراتها الثابتة.

إلا بذكرياتي البسيطة عنك وأنت تلعب الكرة وخصلات شعرك المبعثرة على جبينك.

أنتظر في شوق ذلك اليوم الذي سأراك فيه. يا ألله هل سيأتي هذا اليوم؟ ولو صدفة!

أعلم في داخلي أن ذلك اليوم سيأتي وكم أخاف هذه اللحظة... فلترفق بي يا ألله عندما يحين هذا اليوم.

* * *

توطدت العلاقة أكثر بيني وبين "كاثرين" كانت تأتي إليَّ في منزلي وكنت أذهب إليها في أيام العطل وثالثنا "كريم", أخذتني "كاثرين" في جولة في أنحاء لندن، زرت الكثير من المعالم السياحية فيها برج لندن, ساعة بج بن, سيرك زيبوس, حديقة الحيوان, وعين لندن وهي عجلة ضخمة على ضفة نهر التايمز, شارع أوكسفورد، وأكثر ما أثار إعجابي هو جسر برج القلعة، وهو جسر معلق ومتحرك ويربط بين ضفتي نهر التايمز , كنت كثيرا ما أرى هذا البرج في الأفلام الإنجليزية وها أنا أراه حقيقة أمامي.

وقفت أنظر إلى ماء النهر وأنا أبتسم في سخرية.

سألني "كريم": ماذا بك؟

نظرت إليه وقلت بحزن: تذكرت حياتي السابقة، تذكرت كيف كانت؟ أشعر أنني لم أكن على قيد الحياة ؟

سألني في أسًى: لهذة الدرجة عشتِ حياة صعبة ؟

- عشت الكثير من الألم والحزن والوحدة، والكثير جدا من سوء الحظ.

- "هنا" برغم مرور كل هذه الأشهر إلا أنك لم تتحدثي أبدا عن نفسك .

التفت إليه وأنا أسأله: أين "كاثرين"؟

- أتتهربين من السؤال ؟

- لا ولكن أين هي ؟

- إنها تتحدث على الهاتف.

وأشار إلى مكان بعيد عنا ثم نظر لي وقال: والآن ألن تكملي لي؟

- أكمل ماذا ؟

- ما هو الماضي الذي هربت منه ؟

أجبته في عناد: أنا لم أهرب.

- حقا؟

- بالتأكيد.

أنقذني منه عودة "كاثرين".

- هل تأخرت عليكم؟

أجابها في فتور: لا .....هل هناك جديد؟

قالت في ضيق: نعم للأسف سأضطر أن أذهب؟

سألتها في ذعر: ؟ لماذا؟.....أين ستذهبين؟ ماذا حدث؟

- إن "دانا" مريضة وطلبت مني أن أعمل بدلا منها اليوم في الفندق.

قلت في حزم : إذن سنذهب معك.

- لا لا داعي لذلك فلتستمتعوا أنتم ولتكملوا باقي الجولة .

قلت في توتر: لا داعي حقا؟

نظر لي كريم في عتاب .

قالت "كاثرين" في رجاء: أرجوك يا "هنا" لا أريد أن أضيع عليك هذه العطلة.

ثم نظرت إلى "كريم "وقالت : لن أوصيك فلتستمتعوا .

ابتسم "كريم" وقال : أعدك بذلك.

تركتنا وذهبت، نظرت إلى "كريم " في غضب فابتسم وقال لي: والآن لا مكان للهرب سوف تقصي عليَّ كل شيء.

قلت في عناد وأنا أتحاشى النظر إليه: لا يوجد في حياتي أي شيء لأقصه .

- حسنا .... دعيني أسألك عن والدك ووالدتك ماذا يعملان ؟

تسارعت نبضات قلبي في توتر ولم أجب.

- أليس لديك إخوة ؟

عقدت حاجبي وهززت رأسي: بلا .

- لماذا لم أرك تتصلين بأي أحد في مصر ولو مرة واحدة؟

لم أجبه, اقترب مني ونظر إلي وقال: أعتذر لو كنت قد ضغطت عليك.

سالت عبرة من عيني وتلتها عبرات أخرى كثيرة، انزعج وهو يحاول أن يهدئني .

- "هنا " أرجوك اغفري لي، لم أكن أقصد ....ليتني ما سألتك, لم أكن أعلم أن سؤالي عن ذويك سيسبب لك كل هذا الحزن.

مسحت دمعي وأخذت أسير أمامه، وهو خلفي صامت لا ينطق حتى وجدت مقعدا فجلست عليه، وجلس بجانبي ينظر لي بين الحين والآخر في صمت.

وبعد برهة قال: "هنا" أنا أعتذر.......

- لا داعي لذلك يا "كريم" أنا بخير، لقد تذكرت أبي لقد افتقدته كثيرا.

لاحت ابتسامة في وجهه وهو يقول: إذن لنهاتفه لتطمئني عليه وتسمعي صوته.

أجبته في جمود : لقد رحل ...... توفي منذ مدة طويلة.

نظر لي في صدمة: "هنا" أعتذر لم أكن ......

- وأمي هي الأخرى لحقت به .

- "هنا ".......لا أدري ماذا أقول لك ؟

- لا تقل شيئا لقد مرت سنوات كثيرة، ولقد اعتدت غيابهم، ولكنني أتذكرهم بشدة، وأفتقدهم كلما أحسست أن الدنيا دارت لي وجهها.... ليس لي سوى خالي.

نظر في عيني وقال في صدق: "هنا" أعدك أنني لن أتركك أبدا سأظل بجانبك.

خفق قلبي للحظة أحسست بأني أراه للمرة الأولى, أحسست في تلك اللحظة أنني رأيت عينيه في مكانٍ ما مجهول .... ربما في أحلامي, ما هذا الذي أفكر فيه ؟

ابتعدت عنه قليلا .... وقفت وأخذت أسير ببطء وهو جالس كما هو نظرت له وقلت: فلنسير قليلا

ابتسم وقال: كما تحبين.

أخذنا نسير في صمت برهة ثم قلت له:

"كان أبي عاملًا بسيطًا يعمل سائق قطار في محطه السكة الحديد, ذكرياتي عنه بسيطة وقليلة كان يحبني جدا كنت وحيدته, عندما يأتي إلى البيت يأتي محملا بالكثير من الحلوى والحب, كان منزلنا يقع على الجهة الأخرى من الطريق الذي يمر به القطار, كنت أقف في البلكونة لأراه من بعيد يلوح لي من القطار مطلقا صافرته عندما يقترب من البيت لألوح له في فرح وأنا أراه كنقطة صغيرة أثناء مرور القطار، أنتظره بلهفة وفرح، وكذلك أمي التي كانت دائما ما تبتسم لي وهي تراني أقفز فرحا لأبي، ذلك العملاق المارد محرك القطار حتى أتى ذلك اليوم ظللت أنتظر أبي دون جدوى، فلم يمر القطار اليوم، قلقت أمي تركتني في بيت خالي وانطلقت تعدو إلى محطة

القطار والخوف يعتريها غابت كثيرا كنت أغفو وأصحو أسأل عنها ليجيبني الحاضرون لم تأتِ بعد.

حتى لاح الصباح فتحت عيني لأراها تتقدم نحوي بوجه شاحب ودموع متجمدة على وجنتها ونظرات زائغة، لم أفهم ما يدور حولي ظللنا بضعة أيام عند خالي، ساد السواد، كل ما حولي بكاء ونحيب أسأل عن أبي فلا يجيبني أحد، كنت أظل واقفة بجوار النافذة أنتظره ساعات طويلة، تنظر لي أمي فتراني هكذا فيزيد بكاؤها ونحيبها حتى أخبرني أحد الأطفال سرا بالأمر العظيم، لقد مات أبي، هكذا بكل بساطة مات سقط من القطار كيف ؟وأين؟ ولماذا؟ ظلت هذه الأسئلة تدور بعقلي وحتى هذه اللحظة لم أعرف لها إجابة.

لقد عرفت أمي لماذا؟ ولكنها لم تذكر لي السبب أبدا سوى أن أحدا من العاملين معه تشاجر معه ودفعه من القطار، ولكن لماذا؟ فهو لم يكن يستحق أن يحدث له هذا, ظللنا فترة في منزل خالي ولكن أحست أمي أننا لا بد أن نعود لمنزلنا فهي في حزن دائم ومستمر، ولم يكن أحد ليتحمل كل هذا السواد والحزن المنهمر منها، كنت أذهب إلى مدرستي وأعود منها لأراها تجلس في البلكونة في نفس المكان منتظرة مرور القطار وما إن تراه وتسمع صافرته حتى تقف تلوح له في فرح، كنت أبكي كلما أراها هكذا وكانت هي تضحك وتضحك في فرح حتى يختفي القطار لتعود من جديد تجلس في صمت مرة أخرى، أصبحت أكره صوت القطار وأكره رؤيته.

تعلمت كيف أعتمد على نفسي كان لا بد أن أنضج، أن أكبر سنوات كثيرا حتى أستطيع أن أعتني بنا، فهي قد استسلمت وتركتني وحيدة، لم

يكن لنا بعد الله إلا خالي كان يأتي من حين لآخر ليرى إن كنا في حاجة إلى شيء, هو الآخر لم يكن إلا موظفا بسيطا في إحدى المصالح الحكومية، سرعان ما شغلته الحياة عنا وأصبحنا نراه على فترات متباعدة.

ساعدنا الجيران ومعاش أبي ومكافاة صغيرة حصلنا عليها بعد وفاته، كنت أفعل كل شيء رغم صغر سني وكلما تذكرت أبي أجتهد أكثر في دراستي فأنا أعلم أنه كان يريد بشدة أن أتفوق كان يتمنى أن يصبح لي شأن في هذه الحياة، وفجأة ودون مقدمات ماتت أمي.

تركتني وماتت، كانت قد استسلمت من زمن بعيد.

كان وجودها رمزا بالنسبة لي، وكان ذلك في فترة امتحانات شهادة الثانوية، كان الأمر فظيعًا، كل ما كنت أسعى إليه وأطمح له، كل تعب وسهر الشهور الماضية، كل أحلام أبي انهارت.

اضطررت أن أنتقل إلى بيت خالي لم أستطع أن أذاكر لم أجب بالشكل الأمثل في الامتحانات، لقد تلقيت ضربة جديدة من الحياة عصفت بكل أحلامي, لم تكن الحياة في بيت خالي البسيط سهلة مريحة؛ بل على العكس، فخالي يملك من الأبناء أضعاف ما يتحمله مرتبه البسيط أو غرف منزله، لم أكن بالنسبة له إلا كارثة جديدة ألقاها الزمان عليه" .

كنت أنظر إلى "كريم" بين الحين والآخر وألمح تعابير وجهه تتغير بين الحزن تارة والألم تارة أخرى، وعندما انتهيت قال لي:

- "هنا " أنتِ شجاعة للغاية.

ابتسمت في سخريه فأكمل: حقا كل تلك المآسي وما زلت صامدة في وجه الحياة، ما زلت قادرة على الابتسامة قادرة على أن تحيي.

نظرت له في صمت وأنا أحاول أن أفكر فيما يقوله، في الحقيقة الأمر لا يتعلق بالشجاعة؛ بل يتعلق بالحب يتعلق بالأمل الذي يدفع الإنسان أن يظل واقفا على قدميه رغم الألم رغم الحزن رغم ضربات الزمن المتتالية، التطلع إلى ذلك النور المتقد في نهاية النفق والشعور الدائم بأن المستحيل قد يصبح ممكنا في يوم ما.

ما لم أقصه على "كريم "ولا أدري ما الذي جعلني لا أحدثه عنه هو أنني كنت أهرب من منزل خالي إلى سطح المنزل لأظل وحيدة أنظر إلى المنازل المجاورة وأراقب الأولاد وهم يلعبون الكرة أحيانا أنسى نفسي وأراني أصفق معهم في حماس عندما يسجل أحد منهم هدفا.

لم يكن أحد يسأل عني عندما أتسلل من البيت، هذا ما كنت أظنه ولم أكن أتخيل أن خالي يعلم متى وأين أذهب ومتى أعود؟ ولكنه كان يتركني أفعل ما يحلو لي وطوال فترة الإجازة وفي انتظار ظهور النتيجة .

وأثناء مراقبتي للصبية في لعب الكرة تعلق قلبي بواحد منهم، وكلما كان يسجل هدفا كنت أهتف له من أعماقي، كنت أتمنى لو رآني، لو نظر لي مرة واحدة حتى أتى ذلك اليوم .

كالعادة كنت أراقبهم في صمت حتى سجل فتاي هدفا، فهتفت بأعلى صوت فنظر إلى أعلى فرآني ولكنني وفي تلك اللحظة اعتراني خوف شديد وازدادت ضربات قلبي فاختبأت أسفل الجدار ولم أقوَ على النظر مرة أخرى.

ظللت أراقبه تارة من النافذة وتارة أخرى أبحث عنه في الطريق عندما أذهب لقضاء شيء ما.

أظل أبحث عنه أدعو الله في سري أن أراه حتى وإن لم يرني، لم أعرف اسمه ولم أقو على سؤال أولاد خالي عنه، لا أريد لأحد أن يطلع على سري الصغير الذي دفنته في قلبي.

اليوم سمعت في التلفاز أن نتيجة الثانوية العامة ستظهر، كنت قد نسيت أمر النتيجة والامتحانات وكل شيء.

فجأة أحببت لعب الكرة، أصبحت أسأل خالي عن كل شيء عنها، حتى إنه في كل مرة كان يضحك قائلا : "ما الذي دهاك؟ أخشى أن أراك فجأة تلعبين مع الصبية في الشارع ؟

في الحقيقة كل ما يهمني هو لاعب واحد وما كنت أسأل عنه حتى أعرف ما الذي سأتحدث معه عنه عندما أقابله، لا بد أن أبدي إعجابي الشديدة بكرة القدم وأن أرى الانبهار في عينيه عندما يعلم أنني أعلم عنها كل شيء، وحتى أن أذكر له أنه في مهاراته مثل أشهر اللاعبين في أشهر الأندية العالمية، هل سأستطيع أن أقول له كل ما يدور بخلدي؟ هل سأستطيع؟ هل حقا ستأتي هذه اللحظة؟

ظهرت النتائج، لقد نجحت، ولكنني لم أحصل على ما كنت أتمناه، لقد دخلت كلية الآداب وحصلت على وظيفة أيضا في إحدى المكتبات، كنت أذهب إلى الكلية صباحا لأعود إلى المكتبة وأظل فيها حتى الساعة العاشرة، لأعود للبيت وأنام من فوري وأصحو الفجر أصلي وأدرس حتى ميعاد الكلية لأبدأ من جديد دوامة لا تنتهي، لم يكن يهون عليَّ ما أنا فيه إلا ذكرى ذلك الشاب الذي لا أعرف اسمه حتى الآن .

يمنعني حيائي حتى من ذكره أو الإشارة إليه.

وفي يوم ما وبينما أنا في المكتبة أطبع إحدى المدونات في الحجرة المخصصة للطبع، وإذا بي أسمع صوت الجرس المعلق أعلى باب المكتبة، تركت ما في يدي واتجهت خارج الغرفة لأراه يقف أمامي ممسكا أوراقا ويطلب مني شيئا ما...... لم أفهم .... لم أسمع.... توقف الزمن.. تجمدت، كنت أنظر إليه غير مصدقة، أتراني أحلم..........؟

إنه هو، وخصلات شعره المبعثرة على جبهته دون ترتيب .

أكان يلعب الكرة في هذا الوقت؟

انتزعني من شرودي صوته وهو يصيح: يا آنسة لو سمحتِ؟

نظرت له في غباء وقلت: هااه

ابتسم وقال : أريد نسخة من هذه الأوراق لو سمحتِ.

مددت يدي المرتجفة وأخذت الأوراق منه واتجهت للغرفة... لا أعرف ماذا أفعل؟ لقد نسيت كل شيء عن نسخ الأوراق .

أخذت أغدو وأروح في الغرفة للحظات أنظر إلى الأوراق ثم اتجهت إليه مرة أخرى.

نظر لي في عدم فهم فأشرت إلى الأوراق، فلم يفهم ولم أنطق.... لحظات ينظر فيها إليَّ، ثم ضرب جبهته بيده وقال:

- آه ...نعم أريد نسخها مرة واحدة .

تركته واتجهت للغرفة مرة أخرى وسمعته يقول: معتوهة...

أغمضت عيني وأخذت نفسا عميقا، حاولت أن ألملم شتات نفسي التي بعثرتها نظرات عينيه في كل مكان دون جدوى .

أخطأت أكثر من مرة ومزقت العديد من الأوراق دون قصد، وأنا أسمع صوته بين الحين والآخر متسائلا في نفاد صبر: هل انتهيت؟

خرجت من الغرفة واتجهت إليه وقد شحب وجهي ومددت يدي بالأوراق إليه فسألني في دهشة: هل أنتِ بخير؟

فهززت رأسي بالإيجاب فقال لي: هل أنت خرساء؟

نظرت له في جزع وحاولت أن أنطق لم أستطع، حتى أنني حاولت أن أحرك رأسي من جديد فلم تستجب لي, ما هذا الذي يحدث لي؟ نعم إنها المرة الأولى التي أعجب فيها بشاب، وهي المرة الأولى التي أتحدث معه فيها أيضا، هذا إذا ما اعتبرنا أن ما حدث هو حوار بين شاب وفتاة, فبرغم وجودي ودراستي في الكلية إلا أنني لم أتحدث مع أي شاب، حتى وإن جاء شاب ووقف معنا فأنا أترك المجموعة وأذهب بعيدا أشعر بضعف شديد بداخلي وبألم لا أعرف مصدره .

أبي هو أول رجل في حياتي وبعده أخذتني الدنيا لدوامة من المسؤوليات التي نسيت معها طفولتي نسيت معها أحلامي.

أما خالي فكانت ذريته من الإناث مثلي، وفي نهاية الأمر رزقه الله "بحسن" وهو أصغر أبنائه، طفل صغير.

كانت تتخبطني الأفكار أسمع أحاديث نفسي أكثر مما أسمعه هو نفسه.

هو يتحدث ويضحك ويبتسم وتخرج منه الكلمات بتلقائية، أما أنا فالكلمات محشورة في حنجرتي ما إن تخرج حتى يبتلعها لساني مرة أخرى أشفق على نفسي وأنا التي كنت أظن أنني قوية قد صقلتني الأيام وزادتني صلابة، أراني أذوب أمامه مثل الثلج.

- الحساب من فضلك؟

نظرت له في غباء .

هتف بصوت عالٍ: ثمن الأوراق؟ كم ثمن الأوراق؟

لم أرد ..... لا أعلم كم ثمن الأوراق؟ هل نأخذ ثمنا للأوراق؟

- آنسة .. هل أنتِ بخير ؟

- هاااااا.....

- على العموم هذا ثمن الأوراق .

تركها على المكتب أمامي في نفاد صبر وانصرف وهو يقول: غبية....

معه حق، ما هذا الذي فعلته، هو لا يعلم كم خططت لهذه اللحظة ؟ كم حلمت بها؟ كم حفظت من معلومات عن كرة القدم حتى أذكرها أمامه؟ كم تدربت أمام المرآه عن الكلمات التي سأقولها؟ وكيف سأثير إعجابه، وحتى حبه، ولكن ما حدث حطم كل شيء، حتى ثقتي بنفسي كرامتي صورتي التي لن ينساها لغبية أحبته أكثر من أي شيء آخر في الدنيا حتى أكثر من نفسها, حاولت أن أنسى تلك الليلة، أن أمحوها من ذاكرتي، لقد أهانني لا بد أن أحطمه أن أقتله لو لزم الأمر, نعم لن أصمت بعد اليوم، وفي المرة القادمة التي سأراه فيها، سأحطم رأسه فلتبقَيْ قوية وصارمة حتى تحين هذه اللحظة.

* * *

-ماما........ ماما.

نادى "حسن" والدته بعجل:

بسرعة أريد أن آكل.

- انتظر قليلا يا "حسن" حتى يعود والدك.

- لا لا أستطيع فالمباراة ستبدأ حالا .

نطقت في صدمة: مباراة ....أمسكت بالصغير أهزه أين يا "حسن"؟ متى ستبدأ؟ من سيلعب؟

صاحت زوجة خالي: اتركي الصبي يا مجنونة ستسقطينه أرضا .

ولكنني لم أهتم, "حسن", أين يا "حسن" أجبني؟

أجابنى مذعورا : خلف البيت ستبدأ بعد قليل .

تركت الصغير وأنا أعدو على سلالم المنزل وزوجة خالي تصيح من خلفي في غضب حتى وصلت للسطح ووقفت أنظر وأبحث عنه حتى وجدته يقف وهو يضع قدمه على الكرة وخصلات شعرة المبعثرة على جبهته زادته وسامة، ومع كل هدف يسجله أهتف له من أعماق قلبي وتختفي كل أحلامي بنسفه وسبه وتحطيمه، ويظل فقط حبي له واشتياقي الدائم.

مرت الأيام وأنا كما أنا؛ لا أهتم إلا لشيئين: دراستي وهو، رغم أنني لم أعد أراه .

اختفى فجأة من الحي ظل الشباب يلعبون كرة القدم كما هم، لم يتغير إلا عدم وجوده، زادني هذا حزنا وانطواء وأنا أسأل نفسي أين ذهب ؟ ولماذا؟

وبينما نحن نتناول العشاء بعد يوم طويل من العمل والدراسة كنت أريد النوم بشدة ولكن خالي أصر أن أتناول معه الطعام جلست وأنا مضجرة أشعر أنني سأغفو فوق طاولة الطعام وإذا بخالي يقول لزوجته فجأة : هل عرفتِ يا "فاطمة"؟! لقد انتقل جارنا (عبد المنعم) وعائلته من الحي.

أجابته قائلة : نعم. لقد سمعت من الجيران أنهم انتقلوا إلى بيت كبير في مكان راق .

كنت أشعر بالملل أريد أن أنام فكل تلك الأحاديث لا تعنيني في شيء.

أجابها قائلا : لقد فتح الله عليهم فأحد أبنائه سيلعب في نادٍ كبير.

انتبهت فجأة : من تقصد يا خالي؟

- الجيران في الشارع خلفنا .

سألته في لهفه : ما اسم ابنهم هذا؟

نظر لي في دهشة : لا أعلم اسمه، هو من يلعب الكرة باستمرار خلف البيت .

نظرت لي زوجته في شك وقالت: ولماذا تسألين عن اسمه؟

أجبتها بسرعة: للعلم فقط ....ليس إلا........ "حسن" أنت بالتأكيد تعرف اسمه ..أليس كذلك ؟

حرك رأسه بالإيجاب فسألته في لهفة : "حسن" ما اسمه

فهز رأسه: لا

وخالي يسألني بتعجب: ما بك يا "هنا"؟

وزوجته تصيح بي: اتركي الصبيَّ يكمل طعامه .

سألته في رجاء: "حسن" أرجوك ما اسمه ؟

- بنيتي ماذا هناك؟ قالها خالي في قلق.

أنظر إلى هذا الشقيِّ الصغير الذي ما ينفك يغيظني ويخرج لسانه لي في انتصار، وأنظر إلى خالي في صمت.

وأخيرا أجبته في استسلام وبخيبة أمل: لا شيء، سوف أخلد إلى النوم؛ فأنا في شدة التعب تصبحون على خير.

نظرت لي زوجته في مكر وهي تغمز بعينها لبناتها وهن يضحكن علي.

هذا ما كان ينقصني، أن يتحدثن عني في غيابي، لا بد أن أسيطر على انفعالاتي أكثر من ذلك، سامحك الله يا "حسن" أي طفل هذا !

ليتنى فقط علمت اسمه أو أين ذهب. ترى سأراه مرة أخرى أم أنه سيختفي من حياتي كما يختفي كل من أحبهم؟

* * *

- "هنا" أين شردتِ؟

نطقها "كريم" بقوة أحسست وكأنه انتزعني نزعًا من ذكرياتي، وكأنه جذبني بقوة لأسقط من سماء أحلامي وذكرياتي إلى أرض الواقع.

- لا شيء ......شردت قليلا

سألني في اهتمام : وماذا بعد؟.... كيف أتيتِ إلى هنا ؟

أحسست بالضياع للحظة ثم تذكرت..... نعم لقد حصلت على تقدير امتياز كنت من أوائل الدفعة، وعندما تخرجت ويئست من عدم تعييني معيدة بالكلية قدمت على منحه في الجامعة، والحمد لله قبلت وكانت إرادة الله أن آتيَ إلى هنا .

هذه هي كل قصة حياتي... هل ارتحت الآن؟

هز رأسه بلا وقال لي في تفكير: أشعر أن هناك شيئا ما ناقصا، هذه القصة غير مكتملة!

نظرت له في عدم فهم، فنظر لي طويلا، ثم قال: ألم يكن في حياتك قصة حب؟

نظرت له في صمت، وأنا أتمالك نفسي وأهدئ من روع قلبي المضطرب.

هز رأسه في تساؤل..

نظرت إلى ساعتي وأنا أصيح واقفة : يااااااااااه لقد تأخر الوقت كثيرا.

نظر لي في هدوء وهو يجذبني من يدي في قوة ليجلسني مرة أخرى بجواره .

- "هنا"

نظرت له في توتر.

قال في جد: هل تقبلين الزواج مني ؟

نظرت له في صدمة ثم ابتسمت واتسعت ابتسامتي وضحكت وأنا أنظر إليه، وهو ما زال ينظر لي في هدوء وصمت، وعندما لم أجد منه رد فعل سألته في جدية : هل تتحدث بجد؟ هل ما سمعته صحيح؟

أجابني في هدوء: نعم أنا أعرض عليك الزواج.

- لماذا ؟

- ماذا ؟

- لماذا؟ ...." كريم "نحن لا نعرف بعضنا للدرجة التي تخولنا للحديث عن الزواج.

- لقد أصبحت أعرف عنك ما يكفيني .

- أنت لا تعرف عني أي شيء.

- إذن حدثيني عن نفسك.

- "كريم" إن الأمر ليس بهذه البساطة .

- أنا أحبك يا "هنا".

- "كريم" ......

- نعم أحبك وأريد أن أمضي ما تبقى لي من حياتي معك.

قلت في استياء : "كريم" أنا غير مستعدة لهذا الأمر.

أخذت أسير قليلا أمامه وأنا أردد: لقد تركت كل شيء وأتيت إلى هنا لأبدأ من جديد.

وقفت ونظرت إليه وقلت: أرجوك سامحني، ولكنني لا أستطيع، وأتمنى أن نظل أصدقاء كما كنا، وإن كنت أشك أننا سنستطيع بعد هذا الحديث.

- "هنا " هل قلبك ملك لأحد؟

نظرت له في صمت وضربات قلبي يعلو صوتها حتى أحسست بأنه يسمعها، أجبته دون أن أنظر في وجهه : لا لست مرتبطة بأي أحد.

نظر لي في شك فأكملت في توتر: كانت لي تجربة فاشلة لا أحب الحديث عنها ولا أن أتذكرها أبدا .

وقف أمامي وحاول أن ينظر في عيني وهو يقول : هل خذلك؟

نظرت له في غضب وحقد كبيرين، كنت أشعر بأن غضبي تحول لكرة من اللهب سوف تطيح به في أي لحظة وأجبته في تحد: لا لم يخذلني، ولكن ظروف حياتنا لم تكن متوافقة.

- "هنا" أعتذر لو كنت أغضبتك.

- "كريم" أريد أن أعود للمنزل حالا.

أجابني مستسلما: كما تحبين .

كان طريق العودة طويلا ومتعبا رغم أن المسافة ليست سوى نصف ساعة، إلا أنني كنت أشعر أن كل دقيقة تمر على بجوار "كريم" دهر كامل، أعلم أنه لم يكن يقصد أي سوء ولكن لا أعلم ما الذي أصابني عندما قال لي إنه خذلني، وكأنني أخاف هذه الكلمة وكأنها حقيقية وأنا من لا تريد أن تواجه ما حدث، ما زلت أريد أن تظل صورته المثالية أمامي كما هي، لا أريد أن يشوبها شائبة, أخشى من المواجهة ولكن إلى متى يا "هنا" إلى متى؟ ألم يخذلك حقا؟

بعد فترة من غيابه عن الحي وعن عالمي وبعد انتقاله إلى نادٍ معروف قرأت في الصحف عن خطبته يا لها من لحظة, اللحظة التي كنت أتوق إليها وأحلم بها، اللحظة التي انتظرتها طويلا، أخيرا سأعلم اسمه.

كنت عائدة من الكلية في طريقي إلى المكتبة وأنا في الباص وبينما أنا أنظر من النافذة رأيت مجلة تحمل صورته معلقة في الطريق لأحد بائعي الصحف، صحت بأعلى صوتي للسائق أن يقف أريد أن أنزل هنا لو سمحت ...أوقف الباص... ...أرجوك.

صاح السائق وجميع الركاب في غضب؛ فهذا المكان ليس للوقوف ولكني أصررت ونزلت أهرول ناحية بائع الصحف، اختطفت الجريدة

بسرعة حتى أنني مزقت أحد صفحاتها والبائع يصيح في غضب وأنا أحاول أن أهدئ روعه: لا تقلق سوف أدفع لك ثمنها أو حتى ضعف ثمنها لا تقلق.

أخذت أنظر إلى صورته طويلا، بعد أن دفعت للرجل المال كنت أشعر بالحماس الشديد، أخيرًا سأعرف اسمك، أخيرًا حانت اللحظة التي كنت في انتظارها، وما إن فتحت الصفحة حتى وجدت من يسبني ويصرخ فيَّ بشدة وأنا في ذهول وأشخاص كثر تجمعوا من حولي انتبهت أنني كنت أعبر الطريق وأنا أنظر في المجلة ولم أكن منتبهة للسيارات من حولي .

- الحمد لله أنك بخير.

نطقها أحد الواقفين حولي.

نظرت لهم في دهشة وتركتهم وانصرفت وما زال سائق السيارة يسبني ولكن لم يكن هذا ما يهمني، كانت المجلة تحمل لي ضربة جديدة وألمًا جديدًا، كانت المجلة تتحدث عن خِطبة اللاعب "نادر عبد المنعم " المقامة بأحد فنادق القاهرة، وقد حضر الحفل عدد من رموز الرياضة و..........

"نادر" اسمه "نادر" وأخيرا ...." نادر".

* * *

كيف مرت على الأيام والشهور؟ لا أدري. كنت أعمل بلا توقف أدرس وأعمل دون أن أعطي لنفسي فرصة للتفكير فيه أحمل المجلة معي في حقيبتي ولكنني لم أجرؤ على النظر إليها من جديد .

أحمل معي صورته أنظر إليها كل ليلة قبل نومي نظرات خاوية.

أصبحت أحمل في قلبي فراغًا كبيرًا مهما حاولت لا أجد ما يملؤه.

كل شيء من حولي أصبح كئيبا مظلما لا روح فيه، أصبح اسمه يتردد أمامي كثيرا وأنا التي في الماضي كنت أتمنى لو أسمعه مرة واحدة فقط.

أصبحت أشعر بثقل في روحي كلما سمعت اسمه أشعر بأنفاسي المتقطعة تجاهد لتخرج من صدرى.

تملكني ألم مزمن في كل جسدي لا أعلم له وصفا ولا دواء.

ترى أين النجاة ؟

لا بد أن أسافر بعيدا عنه وعن كل شيء.

عمن ينطقون باسمك ويهتفون لك.

عن وجهك الذي أصبحت أراه في كل من حولي، عن كل أخبارك التي أصبحت حديث الصحف .

لم يتبق إلا القليل على آخر اختبار لي، وبعدها لا بد أن أفر ولكن إلى أين؟

وحتى ولو فررت من هنا كيف سأفر من قلبي الذي يحملك بداخله؟، وعن عقلي الذي لا ينفك يفكر بك في كل ثانية؟

فمهما سافرنا وابتعدنا فإننا نحمل معنا ذكرياتنا وآلامنا، نرتبها في حقائبنا قبل ملابسنا .

نتخيل أننا إن تركنا المكان سنرتاح ولكننا مهما ارتحلنا ومهما ذهبنا نأخذ معنا أوجاعنا دون أن ندري.

* * *

استيقظت وارتديت ملابسي على عجل فاليوم ستظهر النتيجة، أخيرا تعب كل السنوات السابقة، حلم أبي بتخرجي سأراه يتحقق اليوم.

انطلقت على عجل للكلية لأصطدم "بصفاء" زميلتي تقف على الدرج المؤدي إلى قاعات الدراسة.

- مبروك ألف مبروك يا "هنا "

- هل ظهرت النتيجة يا "صفاء"؟

- نعم ولن أتركك حتى أحصل منك على البشارة.

- "صفاء" ما هو تقديري؟

- احزري.

- "صفاء "لا وقت للمزاح .

- ألن تسألي عن نتيجتي؟

- آه أعتذر لك ماذا فعلتِ؟ ولكن انتظري .....أنتِ مبتسمة والفرح مرتسم على وجهك إذن لقد نجحتِ.

- نعم الحمد لله ولكن التقدير..ليس ..يعني

- المهم ألف مبروك.

- انتظري إلى أين؟

- أريد أن أرى النتيجة بعيني.

- انتظرى سآتي معك .

أخذت أعدو على الدرج حتى وصلت إلى اللوحة المعلق عليها قوائم الناجحين ورغم الزحام الشديد إلا أني استطعت أن أشق طريقي بينهم.

حرف الهاء أين هو؟ دائما في آخر الكشف ها هو "هنا مصطفي السيد". تقدير عام امتياز.

كدت أن أقفز فرحا، أخيرا لقد فعلتها اليوم والآن أشعر أنني ولأول مرة أنتصر على الحياة، هذه هي المرة الأولى التي أعطيها أنا ضربة، لقد فعلتها رغما عنك.

ولكنني لم أكن أعلم ما الذي تخفيه لي الأيام القادمة .

لم تدم فرحتي كثيرا بانتصاري على الحياة فسرعان ما ردت لي الدنيا الضربة، لقد تم رفض تعييني في الكلية برغم تقديري وتفوقي، إلا أنه – وكالعادة - تم تعيين أبناء الأساتذة والعاملين في الكلية .

تقدمت بشكوى، في الحقيقة العديد من الشكوى دون جدوى ولما يئست ولم أجد أيَّ نتيجة فكرت أن أتقدم للدراسات العليا فماذا سأفعل غير ذلك.

عندما استدعاني خالي ليسألني عن أحوالي وماذا سأفعل بعد أن تخرجت أجبته في فتور : سوف أقدم للدراسات العليا .

هتفت زوجته في غضب: ماذا ؟ دراسة مرة أخرى وهمٌّ جديد.

نظر لها خالي في صرامة فقلت لها: لا تقلقي فلن أحملكم أي مصاريف.

قال لي خالي في عتاب : "هنا" إن زوجة خالك لم تقصد.

قلت : حتى وإن لم تكن تقصد فأنا سأعمل وأعول نفسي.

قالت زوجة خالي في صرامة: ولماذا لا تتزوجي وتعملي في أي مدرسة مثل كل الفتيات؟

قاطعها خالي في صرامة :" فاطمة" لا أريد أن أسمع صوتك مرة أخرى.

قلت في غضب: أنا لا أريد الزواج كما أنني لا أريد أن أعمل مدرسة.

نظر لي خالي نظرة طويلة في صمت فقلت في خفوت: خالي أنني حاصلة على تقدير امتياز. أليس من الظلم أن يضيع كل تعب السنوات السابقة وأرضى بأي شيء؟

أخذت زوجته تحرك شفتيها في امتعاض فقال لي خالي في هدوء : لقد أتاك اليوم خاطب .

أحسست كمن لدغه عقرب : خالي بالله عليك لا أريد.

هتفت زوجته: إنه شاب محترم، ويعمل مدرسا، ومن جيراننا في الحي، كل البنات سوف تحسدك عليه .

هتفت والدموع تملأ عيني: خالي أرجوك أنا لا أريد الزواج.

أجابني خالي: انتظري حتى تقابليه وتجلسي معه .

ضربت الأرض بقدمي وأنا أهتف : لا لا أريد الزواج .

- بنيتي إنه شاب من عائلة كريمة وقد تغيرين رأيك عندما ترينه .

نظرت له في جزع وتركته وأسرعت إلى سطح المنزل مكاني المفضل أخذت أبكي، أشعر بأني أساق إلى طريق لا أريده, حياتي ستدمر إذا رضخت وقبلت, لا لن أستطيع....... أنا لا أفكر ولا أحب إلا شخصا واحدا أعلم أنه ليس لي ولن يكون.

شخص لا يعلم عني شيئا، ولكني لن أستسلم كما أنني أريد أن أكمل دراستي لن أستسلم مهما حدث .

ها أنا أجلس أمام المرأة أنظر إلى الفراغ أمامي أترك بنات خالي يفعلن ما يحلو لهن في وجهي، حتى هذا الفستان ارتديته لا مبالية بلونه البشع الذي اختاروه.

كل محاولاتي في الأيام الثلاثة الماضية لم تفلح لقد وافق خالي على استقبال ذلك الخاطب هو وأهله.

أما زوجة خالي وبناتها فقد أقمن الأفراح، وعلا صوت غنائهن ورقصهن، المنازل حولنا، ألهذه الدرجة كنت حملا ثقيلا عليهن.

نادت عليَّ زوجة خالي لقد وصل الضيوف ويجب أن أقدم لهم العصير.

كنت أشعر مع كل خطوة أخطوها وكأنني أساق إلى حتفي.

جلست صامتة أنظر إلى الأرض تحت قدمي أسمع بين الحين والآخر زوجة خالي وهي تمدح في جمالي وأخلاقي وتفوقي وكيف أنني طباخة ماهرة لا يشق لي غبار، كنت أشعر بالعجب الشديد، حقا أنا أحمل كل تلك الصفات دون أن أدرى عنها شيئا؟

وعندما حاول ذلك الخاطب أن يتحدث معي تركتهم وانصرفت بعد أن اعتذرت لهم، وأثناء خروجي سمعت زوجة خالي تخبرهم بأن حيائي هو من منعني من مجالستهم .

ظللت في غرفتي جالسة على فراشي وفي يدي كنت أحمل المجلة مطوية وألف فكرة وفكرة تتصارع في رأسي، سوف أترك لهم البيت أين سأذهب سأعود إلى بيت أبي .

سأكون وحيدة، الناس لن تتركني لحالي، حتى وإن رفضته سيتقدم غيره، إلى متى سأرفض، لن تتركني زوجة خالي، ستذيع عني الإشاعات حتى وإن لم يصدقها خالي في البداية، ولكن في نهاية الأمر لن يتحمل رفضي المستمر ماذا سأفعل ؟وأين سأذهب ؟

انفتح باب الغرفة فجأة وإذا "بحسن "يقول لي: إن أبي يريدك في غرفته .

حدثت نفسي: نعم هذا ما كنت أنتظره.

وأنا في طريقي إليه وجدتهم كالعادة زوجة خالي وبناتها وقد التفوا سويا وانخفضت أصواتهن في همس مسموع يذكرن اسمي وينظرن لي في خبث.

ما إن دخلت الغرفة حتى قال لي خالي: اجلسي يا هنا بجواري.

جلست صامتة وإن كانت الكلمات تصرخ في داخلي.

قال لي في هدوء : أريد أن أتكلم معك بصراحة..."هنا" انظري لي واصدقينى القول .

نظرت له فأكمل: أهناك شخص آخر؟

وقفت مذعورة وصحت في توتر: لا ... الأمر ليس هكذا .

يعني لا يوجد أي شخص آخر وهو من يجعلك ترفضين هذا الخاطب.

هتفت: لا... أنا لا أعرف أي أحد ولا أكلم أي أحد وتستطيع أن تتأكد من ذلك بنفسك.

جذبني برفق من يدي وهو يقول مبتسما: اجلسي يا "هنا" أنا لا أتهمك ولا أحقق معك كل ما أريده أن أعرف إن كان هناك شخص آخر تشعرين تجاهه بشيء ما فأنا لا أمانع فليتقدم لي وأنا سأوافق عليه.

هززت رأسي في عصبية وأنا أهتف: لا... لا يوجد أي أحد أنا أريد أن أواصل دراستي فأنا أستحق ذلك ولا أريد أن أتزوج وهذا حقي.

قال في حنان : حسنا يا بنيتي سيكون لك ما تريدين .

أحسست بالعبرات تتسابق على وجنتي وقلت بصوت مخنوق: أحقا؟

- نعم لن أغصبك على شيء لا تريدينه .

لم أشعر إلا وأنا ألقي بنفسي في حضنه وأبكي، أشعر لأول مرة، وكأنني ألقي بنفسي في حضن أبي ذلك العزيز الذي شعرت بفقده في الأيام السابقة أكثر من أي وقت مضى، وكأنه مات هذه الأيام .

ربت على كتفي وهو يقول بحنان: لا تحملي هم أي شيء، ولو احتجت إلى أي شيء أي شيء مهما كان لا تترددي في طلبه .

رفعت عيني إليه فمسح دمعي وقال وهو يبتسم: ولا تشغلي بالك بزوجة خالك أبدا كأنها غير موجودة.

ضحكت فقال لي: هكذا أريد أن أرى ابتسامتك دائما.

لا تحزني من "فاطمة" هي تحبك ولكن بطريقتها تريد أن تفرح بك اغفرى لها جهلها .

مسحت دمعي وقلت له في فرح: أنا على استعداد أن أغفر للعالم كله ما دمت راضيا عني .

لم يكن يمر بضعة أيام على ما حدث وبينما أنا أعمل في المكتبة حتى فوجئت بإحدى زميلاتي في الكلية ممن كانوا ضمن العشرة الأوائل تزف إليَّ خبر المنحة, أسرعت إلى الكلية وقدمت طلبا وأرفقته بكل الأوراق المطلوبة وأبقيت الأمر سرا في البيت حتى أعلم النتيجة سواء رفض أو قبول.

كنت أدعو الله كل ليلة أن يتم قبولي يا رب لك وحدك حقق رجائي حقق أملي يارب .

لا أحد يعلم أين يكمن الخير ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾[1] ما كنت غاضبة وحانقة منه، وهو عدم تعييني في الجامعة والظلم الذي وقع عليَّ قد يكون هو في يوم من الأيام أحد أسباب سعادتي من يدرى ماذا تخبئ لنا الأيام ؟

* * *

ارتفع رنين الهاتف فأسرعت أجيب فإذا هي "نجلاء"

- آلو "نجلاء" ....
- ألف مبروك يا "هنا" لقد تم قبول طلبك في المنحة.
- أحقا ما تقولينه يا "نجلاء" .
- نعم لقد رأيت الكشف بنفسي واسمك في أول الكشف.

لأول مرة أشعر بالسعادة تتخلل روحي: هذا أسعد خبر سمعته في حياتي أشكرك كثيرا .

---

[1] البقرة: ٢١٦.

- لا بد أن تذهبي بنفسك حتى تتعرفي على الإجراءات المطلوبة.
- نعم سأفعل غدا إن شاء الله شكرا لك، وأنتِ ماذا فعلتِ؟
- لقد تم قبولي أنا الأخرى.
- حقا مبارك لك، إذا تمت الأمور على خير وجه قد نسافر سويا .
- سيكون هذا من دواعي سروري فنهون الغربة على بعض .
- ما رأيك نتقابل إذًا في الكلية ونتفق على ما سنفعل ؟
- حسنا أراك غدا ...سلام

مرت الأيام وخلال الشهر الماضي انتهيت من جميع الأوراق المطلوبة واستخرجت جواز سفري وحتى تذكرة الطيارة معي، ورتبت لكل شيء وأجلت حديثي مع خالي للنهاية حتى وإن رفض لأي سبب من الأسباب أكون قد جهزت لكل شيء وأسافر مهما حدث, لن أنتظر ولن أستسلم سوف أحقق حلمي سوف أهرب من هنا وأبدأ من جديد علَّني أنسى هذا الوجع المستعر في قلبي دون توقف.

انتظرته في غرفتي حتى عودته من عمله وأنا أغدو وأروح فيها في قلق حتى عاد.

كالعادة لم تتركني زوجة خالي بمفردي معه، جلست وأنصتت لكل كلمة قلتها وبدأت في الهجوم.

- أي سفر هذا؟ ومتى رتبتِ لكل هذا ونحن غافلون؟

قال خالي بهدوء: انتظري قليلا يا "فاطمة".

صاحت في انفعال: ماذا أنتظر؟ ألم تسمع ما قالته؟ تريد أن تسافر خارج البلد وبمفردها، وهل عندنا بنات تسافر بمفردها؟

قلت لك: اصمتي .

- خالي إنه مستقبلي.

صاحت في غضب : أي مستقبل هذا الذي تتحدثين عنه مستقبل الفتاه في الزواج في بيت زوجها.

صاح خالي في غضب : "فاطمة" اتركينا بمفردنا هيا .

- لا ترضخ لها يا "إسماعيل" فالناس لن تتركنا، وبنت أختك سوف تفضحنا .

صرخ في وجهها : قلت لك اذهبى الآن .

قامت وهي تتغامز وتهمهم بكلمات لم أسمع منها سوى فتاة فلتانة.

نظرت إلى خالي فوجدت الحزن مرتسما في عينيه

قلت في خفوت : خالي أنا ....

- أنا عاتب عليك يا بنيتي لماذا لم تقصي على الأمر من البداية.

قلت في حرج : لقد خشيت أن ......

- إن ماذا؟... هل سأقف في طريق مستقبلك ؟

- خالي أنا ....

- "هنا" حتى بالأمس كنت أكبر داعم لك وافقت على كل ما أردتِ لم أقف في طريقك ولم أنصت لكل ما كنت أسمعه ممن حولي، أردت سعادتك فقط أنتِ ابنتي أريد أن أراك في أفضل حال لم أكن أتوقع منك أن تضعيني في هذا الموقف.

قلت في رجاء : خالي أعتذر عما حصل. اغفر لي أرجوك .

قبلت رأسه وجلست بجواره وقلت : اغفر حماقتي وخوفي ..

نظر لي في شك فقلت في استسلام: نعم لقد كنت أشعر بالخوف لا أشعر بالثقة في أي أحد ولا حتى في نفسى، أخشى من كل شيء حولي أخشى من الفرح أخشى من الدنيا والأيام القادمة أخشى من زوجتك أن ترفض سفري.

نهض غاضبا وهتف في حنق : كم مرة أخبرتك أن "فاطمة" لن تكون عقبة في طريق نجاحك وسعادتك... كم مرة طلبت منك أن تثقي فيَّ؟ كم مرة أخبرتك أنني لن أسمح لأحد أن يقف في طريقك ؟

أعتذر لا تغضب منى أرجوك ولكن هذه فرصتي لأحقق ما أحلم به وأريده، إن هذه المنحة هي مستقبلي .

لانت ملامحه قليلا وهو يسألني : أين ستذهبين ومتى؟

- سوف أسافر الأسبوع القادم إلى لندن .

- لندن..!! وأين هى هذه البلدة ؟

ابتسمت وأنا أقول له : لندن في بريطانيا ....انجلترا.

نظر لي في عدم فهم وقال : هل هي بعيدة .

- نعم يا خالي بعيدة جدا .

- وكيف ستعيشين في بلد كهذه يا بنيتي؟ وماذا عن المال ماذا ستفعلين؟

لا تقلق يا خالي، فأنا سوف أعيش في سكن يتبع للجامعة مع فتيات مثلي، حتى إن "نجلاء" زميلتي في الكلية سوف تسافر معي، لا تقلق.

وبالنسبة للمال فنحن سوف نحصل على بعض المال من الجامعة، وأنا سوف أبحث عن عمل بجانب الدراسة .

- بنيتي أنتِ تعلمين أنني لو أملك شيئا لن أمنعه عنك.

ابتسمت وقلت : خالي أنا أعلم لا تقلق .

فجأة انفتح الباب بقوة لأجد زوجة خالي تصيح بصوت عالٍ: كنت أعلم أنك لن تستطيع أن تمنعها مما تعزم عليه .

- "فاطمة" إن هذا الموضوع لا يعنيك.

- هذا ما تفلح فيه أن تصيح بي .

- "فاطمة" قلت لك لا تتدخلي.

عند هذا الحد وجدت أنني لا بد أن أنسحب في هدوء إلى غرفتي تاركة المعركة مشتعلة .

كان أسبوعا حافلا بالمعارك ما إن أدخل المنزل حتى يشتعل فتيل زوجة خالي وتبدأ بتراشق الكلمات والذي يستمر حتى بعد أن أدخل غرفتي وأغلق بابها، حتى خالي لم يسلم منها حتى هددته في أحد الأيام أنها ستترك المنزل إذا سمح لي بالسفر.

كنت أنظر له في إشفاق مما يتحمله بسببي، ولكنه كان دائم الابتسام لي، يقول لي وهو يربت على كتفي: لا تقلقي ليس لها مكان تذهب إليه .

أبتسم له في قلق وصمت: ليس في يدي حيلة .

لقد اقترب موعد سفري بدرجة مخيفة أليس هذا ما تمنيته؟ أليس هذا ما حلمت به وحاربت لأجله؟

لن أنكر أنني خائفة وبشدة أتمنى لو يمنعني خالي، لو قال لي مرة واحدة لا تذهبي وقتها لن أفعل.

هل أصدق هذه الترهات التي يتفوه بها قلبي، بالتأكيد عقلي لن يوافق هذه الخزعبلات .

هل حقا سأقدم على هذه الفكرة؟ هل سأسافر وأترك كل شيء خلفي؟ وهو ....

لقد توقفت عن متابعة أخباره توقفت عن سماع أي شيء عنه، لا أعلم عنه أي شيء ولا أريد منذ أن علمت بخطبته، وتوقف الزمن عند تلك اللحظة تجمدت كل الأحداث، كل ما كنت أريد أن أعرفه هو اسمه، وقد علمته، لا أريد أي شيء آخر أن يحطم آخر أمل في قلبي، أنني قد أراه في يوم من الأيام، وإنه قد يعجب بي أو إنه قد يهيم عشقا بي.

كم أتمنى لو أراه مرة واحدة، مرة واحدة فقط: لأعيش ما تبقى لي من عمري أتذكره وأتذكر صوته ووجهه وخصلات شعره المبعثرة على جبهته، لو أعلم أين أجده لكنت ركضت إليه لأنعم برؤيته ولو لحظات، كم أتمنى لو يعلم كم أحبه، لو يعلم كيف مرت السنوات الماضية عليَّ وأنا لا أملك إلا صورة له وحلما أحلم به كل ليلة أحلم بأميري يقف بانتظاري في أبهى حلة، يمد يده لي وهو يبتسم وما إن ألمس يده حتى تدوي الموسيقى من لا مكان لتملأ الكون حولنا، في مكان يشع ضوءا أزرق خافتا، ورائحة الورود وعبقها منتشر في الهواء. يراقصني ويدور بي ويدور في مكان ليس به غيرنا كما في القصص الخيالية, كم أتمنى أن أراه قبل أن أسافر ولكن هذه الأمنية هي الأخرى حلم من ضمن أحلامي التي لن تتحقق.

يا ألله أعطني القوة لأتحمل، فهذا العشق يحمل في طياته الكثير من الألم والوجع الذي أشعر أنه فوق طاقتي.

حتى حانت اللحظة المنتظرة، أوصلني خالي إلى المطار وهو يوصيني بأشياء كثيرة ويقرأ لي الكثير من آيات القرآن.

قلت له في مرح : خالي اطمئن أنا ذاهبة لأدرس وليس للحرب .

أجابني في جد : "هنا " لا تستخفي يا بنيتي، لا أحد يعلم ما الذي تخفية لك الأيام، وهذه البلاد الغريبة وأنت لا تعرفين أحدا هناك .

- لا تقلق "فنجلاء "معي.

- أين هي ولماذا لم تأتِ إلى المطار إلى الآن ؟

ساورني القلق للحظة فقلت له: لا أعلم سوف أتصل بها.

رفعت الهاتف إلى أذني ولكنها لم تجب، حاولت مرة أخرى دون رد.

نظرت له وقلت محاولة أن أطمئنه: لا تقلق سوف تأتي بعد قليل، ولكن أنا لا بد أن أودعك الآن، وأن أدخل لأكمل الإجراءات .

- حسنا يا بنيتي لا تنسَي أيا من الأشياء التي أوصيتك بها.

- لا تقلق .

- "هنا" ما كنت تركتك أبدا لولا أنني أخشى أن أكون السبب في ضياع مستقبلك فأنت أمانة من أختي رحمها الله, عديني أنك ستهتمين بنفسك وستحافظين عليها وستدرسين بجد وترجعين لنا بالشهادة الكبيرة .

أجبته مبتسمة : أعدك بذلك .

- "هنا" طمأنيني عليك من حين لآخر.

ضمني إليه، وشعرت بدموعه تسيل، أفلت منه دون أن أنظر إليه لا أريد أن أضعف الآن وما إن ابتعدت بضعه خطوات حتى نادى علي:

- "هنا"...........

التفت إليه فقال لي وسط دموعه المتساقطة :

- في رعاية الله وحفظه .

أسرعت إليه وارتميت في حضنه وأنا أبكي, ربت على ظهري وقال لي وهو يحاول أن يبتسم: هيا حتى لا تتأخري الطائرة لن تنتظرك .

مسحت دموعي بيدي وقلت له: سوف تفخر بي في يوم من الأيام أعدك بذلك.

- وهذا ما أتمناه يا بنيتى .

قبلت يده وتركته وانطلقت للداخل، وبعد أن أنهيت كل الإجراءات اتصلت مرة أخرى "بنجلاء " أجابتني وهي تبكي أن والدها توفي بالأمس وأنها لن تستطيع أن تأتي لأن أسرتها في حاجتها, وهكذا أصبحت بمفردي في مواجهة مجهول دون أي عون أو رفيق .

❋ ❋ ❋

استيقظت على رنين الهاتف، فاجأني اتصال "كاثرين" بي في الصباح الباكر قبل أن أذهب إلى الجامعة، عندما سمعت صوتها جال في خاطرى أكثر من خاطر سألتها في قلق : "كاثرين" هل كل شيء على ما يرام؟

أتاني صوتها فرحا متحمسا: "هنا" إن اليوم يحمل لك مفاجأة كبيرة.

- مفاجأة؟ "كاثرين" ماذا تقصدين؟

- إنها مفاجاة.

- "كاثرين" ولماذا إذًا تتصلين بي؟

- لأقول لك.

- أنتِ لم تقولي أي شيء على العكس.

قالت في اندفاع: "هنا" إن "كريم" يحضر لك مفاجأة كبيرة ستغير حياتكما معا.

قلت في ضجر: "كاثرين" كفانا ألغازا، إن اليوم شاق بما يكفي فلدي اختبار هام ولم أنم جيدا بالأمس.

- حسنا... حسنا، لا تغضبى، "كريم" سوف يطلب يدك.

سقط قلبي من بين ضلوعي ولم أنطق.

أكملتْ في حماس: سوف يدعوك للخروج معه وهناك سيعرض عليك الزواج.

شعرت بالذعر الشديد ماذا سأفعل في هذا المأزق؟ ألم يكفه الفشل في محاولته الأولى معي؟

- "هنا "هل ما زلت معي.

- نعم يا "كاثرين".

- ماذا ستقولين له؟ هل ستوافقين؟

- لا أدري.

- "هنا " إن "كريم" يحبك.

أجبتها في ضجر: "كاثرين" لا بد أن أغلق الآن فلقد تأخرت على الجامعة، أراك لاحقا.

قالت في سرعة: انتظري........ "هنا".

لم أعطها الفرصة لقول المزيد فليكف ما قالته.

ماذا سأفعل الآن؟........... يا "لكريم "هذا لا ييأس، ما زال يركض خلفي.

ألقيت نظري على الصورة الكبيرة المعلقة على الجدار والتي اختفت بالكامل معالمها تحت وطأة الأوراق الملصقة عليها. كيف لم أنتبه إلا الآن؟ كيف سمحت لنفسي، هل نسيته؟

قاطعني رنين الهاتف من جديد, أمسكت السماعة في غضب وصحت:

- "كاثرين "يكفي بالله عليك.

جاءني صوته مرحا كعادته: ماذا فعلت "كاثرين" لكل هذا الغضب؟

انتفضت وسقطت السماعة من يدي, أخذت أنظر لها في ذعر وصوته يتردد: "هنا ".....''هنا "هل أنت بخير ؟

أمسكت السماعة في تردد وقلت في قلق: نعم بخير شكرا.

- ماذا حدث؟

- لا شيء.

- هل سأراك اليوم؟
- لا أعلم فاليوم مشغولة.
- "هنا" أريد أن أتحدث معك في شيء هام.
- "كريم " أرجو أن تؤجل هذا الحديث فاليوم لدي اختبار هام.
- حسنا إذن أراك بعد الاختبار.
- لا أعلم .
- "هنا" هل أنت بخير؟
- نعم بخير...... ولكن لم أنم جيدا.
- حسنا ....أتمنى لك التوفيق .
- شكرا لك.

وضعت السماعة وأنا أشعر بأن شيئا ما بداخلي أصابه خلل لا أعلم، هناك الكثير من الأفكار والأحاديث الجارية داخلي دون توقف وطول الطريق إلى الجامعة وأنا أصغي لقلبي وعقلي أصغي لكل الصراعات الدائرة بلا توقف، حاولت طوال اليوم أن أبتعد عن كل الأماكن التي قد أجد "كريم" فيها، ما إن أخطو بضع خطوات حتى أجد من يقول لي إن "كريم " يبحث عني، لا بد أن أذهب من هنا وبسرعة.

انتهيت من الاختبار وانطلقت على عجل إلى أقرب حديقة عامة أريد أن أكون في مكان مفتوح، أريد أن أفكر.

ماذا تقولين؟ تفكرين! فيما تفكرين؟

كانت هذه الجملة من قلبي.

صاح صوت قوي : نعم تفكر، هذا هو كلام العقل.

قلبي: "هنا "هل جُننتِ؟

عقلي: لماذا؟...... إلى متى ستنتظر وَهْما وحلما لا وجود له.

قلبي: ليس وهما ولا حلما إنه حقيقي.

عقلي: هل جننتِ؟! إن الرجل لا يدري عنها شيئا ولا عن حبها ولا حتى وجودها ولا مكانها ولا هي تعلم أين هو؟ ولا هو يعلم عنها أي شيء.

قلبي: اصمت أنت أيها العقل الجامد المثير للشفقة، ماذا تعرف أنت عن الحب؟

أعلم ما يكفي للفرق بين الوهم والحقيقة, إن "كريم" حقيقة وهو يحبها بالتأكيد وبرغم رفضها له في المرة السابقة إلا أنه ما زال يهتم بها ويحبها، أما الآخر أين هو؟ إنه فقط صورة على الجدار, خيال ووهم بين جنباتك فقط.

صرخت بصوت عال: صمتا أنتما الاثنين سوف أُجن منكما، فليكف صراعا لا أريد رأيكما ولا أريد أي كلمة من أحدكما.

بعض الأشخاص الموجودون في الحديقة كانوا ينظرون لي في سخرية. نعم بالتأكيد فلقد جننت تماما.

لم يكن هناك وقت للمرور على المنزل وفي الحقيقة كنت أخشى الذهاب لهناك خوفا من أن أجد "كريم" بانتظاري، ذهبت مباشرة إلى الفندق وأخذت مناوبتي وأنا أحاول إلا أن أفكر في أي شيء.

حتى وجدت "إيسلى" المناوبة معي تقول لي: إن هناك شخصًا على الهاتف يريد أن يتحدث معي.

فلترحمني يا إله السماوات، أين أذهب منك يا "كريم"؟!

أخذت الهاتف وقلت في همس:

- "كريم" ماذا حدث؟ أنت تعلم أن مستر "ألبرت" لا يرحب بمثل هذه الأشياء .

- أعتذر يا "هنا" ولكنني كنت أريد أن أطمئن عليك فلم أرك اليوم في الجامعة ولم تعودي للمنزل أيضا .

- هل ذهبت للمنزل أيضا ؟

- أعتذر عن إلحاحي ولكني كنت أريدك.....

قاطعته في ملل: أعلم في موضوع مهم. ما هو هذا الموضوع؟

- أريد أن أدعوك للخروج معي اليوم بعد انتهاء عملك؟

صمت للحظة فأكمل:

- "هنا "هل ما زلت على الخط؟

- نعم يا "كريم ".

- ماذا قلتِ؟

- موافقة.

- حقا؟!

- نعم..... أليس هذا ما تريد؟

قال في سعادة: لا تعلمين مقدار سعادتي بهذا الأمر، هل أمرّ عليك ونذهب سويا؟

قلت في سرعة: لا .....اذكر لي اسم المكان ونتقابل هناك.

- حسنا كما تشائين.

ظللت لخمس دقائق أنظر إلى سماعة الهاتف في يدي في شرود.

ماذا فعلت؟ هل ما فعلته صواب أم سأندم عليه فيما بعد؟

انشغلت في عملي كثيرا حتى إني لم ألاحظ الوقت، لقد مر سريعا وما إن أخذت حقيبتي واستعددت للخروج من الفندق حتى فوجئت "بويليام" يَقف أمامي يمنعني من الخروج من مكتب الاستقبال.

نظرت له في تمعن، إنه أنيق يلبس حُلة أنيقة باهظة الثمن.

ابتسم, نظرت له في تساؤل وقد عقدت حاجبي وأنا أحاول المرور من الناحية الأخرى وهو يمنعني أيضا.

- "ويليام ".

- "هنا".

- ماذا هناك؟

- أريدك أن تفي بوعدك.

- ماذا ؟ هل وعدتك بشيء؟

قال في مراوغة: "هنا".

قلت في تساؤل: "وليام"؟

- هل نسيتِ بهذه السرعة وعدك لي.

قلت له وأنا أحاول المرور من تحت يده التي وضعها على المكتب حتى لا أستطيع الحركة: "وليام " أرجوك فلندع المزاح ليوم آخر، أنا لدي موعد مهم وأريد أن ألحق به.

زاد من صلابة يده وهو يقول: ليس اليوم يا "هنا" فلتؤجلي أي موعد فاليوم لن تذهبي لأي مكان.

- "وليام" هذا المزاح أصبح ثقيلا، الوقت يمر وسوف أمر على المنزل أولا و ....

قال في صرامة: فلتنسي كل هذا ...

عقدت يدي على صدري ورسمت علامات الغضب على وجهي وأنا أقول له: هل لي أن أعرف ما الذي يجرى هنا؟

ابتسم وقال: بالتاكيد .

أبعد يده عن المكتب واعتدل في وقفته وقال: ما رأيك؟

نظرت له نظرة كاملة وقلت: في غاية الأناقة، أشعر بأن هناك حدثا جللا.

قال بابتسامة: سوف أتقدم للزواج من الفتاة التي أحب.

ابتسمت في فرح وقلت مهنأة: حقا مبارك لكما أتمنى لكما السعادة......... ولكن ما شأني أنا في هذا الأمر.

قال: إن اليوم هو يوم مولدها وقد أعددت لها مفاجأة وسوف أتقدم إليها ونحن نطفئ الشموع.

قلت في إعجاب: رائع ....إن هذه الفتاة محظوظة بك.

- أشكرك ......ولذلك أريد منك أن تأخذي مناوبتي الليلة.

تبدل وجهي في ثانية واعتراني الفزع، وقد لاحظ هو هذا التبدل فسألني في قلق: أكل شيء بخير؟

- "وليام" لا أستطيع ...حقا إن اليوم لدي.....

قاطعني في إصرار: "هنا" أرجوك إن اليوم هو أهم يوم في حياتي كلها .

- "وليام" أنت لا تفهم فأنا لدي موعد..........

لم يعطني أي فرصة للشرح.

- "هنا" أرجوك أنا لا أستطيع أن أطلب هذا الأمر من أي أحد غيرك.

- "وليام "....

قال في رجاء: إن اليوم هو عيد ميلادها وقد أعددت لها يومًا مميزًا ولا أستطيع أن أعتذر، وهي تنتظرني.

قلت في شحوب: "وليام" ..... لا أدري ماذا أقول؟

- أنت مدينة لي.

نظرت له في تردد وقلت: إني موافقة.

قال في فرح: "هنا" كنت أعلم أنك إنسانة رائعة.

- ولكن ليس لأني مدينة لك.

نظر لي في تساؤل فأكملت: إنما لأن﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ صدق الله العظيم.

- لم أفهم .....

ابتسمت وأنا أقول: لم أنس صنيعك معي فأنت كنت في غاية الكرم وقد تعلمت أن أرد حسن الصنيع بأفضل منه... كما أنني لن أستطيع أن أجعلك تتركها تنتظرك طوال الليل.

- "هنا" أشكرك كثيرا.

قلت بابتسامة: أتمنى لكما السعادة........

تجهم وجهي للحظة وأنا أقول له: ومستر" ألبرت"..

- لا تقلقي لقد تحدثت معه.

- ووافق؟

- نعم.

- قبل أن تتأكد إن كنت سأوافق أم لا؟

ابتسم قائلا: كنت أعلم أنك ستوافقين.

نظرت له في مكر، فقال وهو يبتعد: أعلم أن قلبك الطيب لن يجعلك ترفضين .

تمتمت بصوت خافت وأنا أعيد حقيبتى لموضعها على المكتب: نعم قلبي الطيب هو سبب مأساتي.

وما إن أخذت مكاني حتى تذكرت "كريم" إنه ينتظرني... لا بد أن أتصل به الآن, وما إن أمسكت بسماعة الهاتف حتى جاءني صوت "ويتني" وهي تقول في ذعر:

- "هنا" مستر ألبرت .

ألقيت السماعة في فزع حتى سقط الهاتف كله على الأرض وعلا صوت سقوطه كل الأصوات الموجودة, نظر مستر "ألبرت" في اتجاهي وقد علا وجهه علامات الغضب واحمر وجهه وانتفخ حتى أحسست أنني سأرى بخارا متصاعدا يخرج من أذنيه.

وما إن كاد أن يتجه إلى حيث أقف حتى هبت فجأة في المكان رياح شديدة ألقت وبعثرت كل الأوراق والملفات في كل المكان، أوراق كثيرة تتساقط من المكان وتملأ بهو الفندق ظللت أنظر إلى السقف من أين تأتي كل تلك الأوراق .

- "هنا"...." هنا "...

نظرت إلى "ويتنى" في صدمة وأنا أشير إلى السقف "ويتنى ": هل رأيتِ كل تلك الأوراق ؟

نظرت لي في ارتياب وقالت: "هنا" هل أنتِ بخير؟

نظرت حولي في دهشة، أين الأوارق؟ كل شيء كما هو ما الذي حدث منذ قليل؟

صاح صوته في غضب: "هنا "....

هتفت في ذعر: نعم مستر"ألبرت "....

وجدته يقف أمامي في صرامة وقد عقد حاجبيه بقوة مانعا الرؤية عن كل ما هو خلفه وهو يقول ضاغطا على أسنانه في غيظ مكتوم: دوني بيانات مستر"منعم".

قلت في ذعر: بالتأكيد يا سيدي.

قلت وأنا أنظر في شاشة الكمبيوتر دون النظر إلى العميل فقد كنت أخشى إن رفعت عيني أن أجد مستر"ألبرت" ما زال أمامي:

- جواز سفرك يا سيدى.

- تفضلي .

أحسست بوخز في قلبي.... هذا الصوت....

فتحت أول صفحة وما إن وقعت عيني على الصورة المرفقة والاسم المدون حتى أحسست بالأرض تدور من حولي دققت النظر أكثر..........فركت عيني.

- أهناك شيء يا آنسة؟

رفعت عيني لأرى صاحب هذا الصوت الآتي من الماضي... المسافر في رحلة عبر الزمن ها هو قد أتى وجاء بكل الماضي معه.

توقف الزمن.. تجمدت، كنت أنظر إليه غير مصدقة أتراني أحلم.........؟

إنه هو وخصلات شعره المبعثرة على جبهته دون ترتيب.

أكان يلعب الكرة في هذا الوقت؟

انتزعني من شرودي صوته وهو يصيح: يا آنسة لو سمحتِ؟

نظرت له في غباء وقلت: هااه

ابتسم وقال: أريد نسخة من هذه الأوراق لو سمحتِ.

مددت يدي المرتجفة أخذت الأوراق منه واتجهت للغرفة... لا أعرف ماذا أفعل؟ لقد نسيت كل شيء عن نسخ الأوراق .

أخذت أغدو وأروح في الغرفة للحظات أنظر إلى الأوراق، ثم اتجهت إليه مرة أخرى، نظر لي في عدم فهم فأشرت إلى الأوراق فلم يفهم ولم أنطق. لحظات ينظر فيها إليَّ ثم ضرب جبهته بيده وقال: آه ...نعم أريد نسخها مرة واحدة.

تركته واتجهت للغرفة مرة أخرى وسمعته يقول: معتوهة...

أغمضت عيني وأخذت نفسا عميقا حاولت أن ألملم شتات نفسي التي بعثرتها نظرات عينيه في كل مكان دون جدوى .

أخطأت أكثر من مرة ومزقت العديد من الأوراق دون قصد وأنا أسمع صوته بين الحين والآخر متسائلا في نفاد صبر: هل انتهيت؟

وبعد معركة مع نفسي خرجت وأنا أحمل الأوراق في يدي وقد شحب وجهي فسألني في دهشة: هل أنتِ بخير؟

فهززت رأسي بالإيجاب فقال لي: هل أنت خرساء؟

وكأنني كنت أحلم وأفقت على صوته يقول:

- آنسة هل كل شيء على ما يرام؟

انتزعنى من شرودي وقلت بتردد: نعم يا سيدي.

قال: هناك حجز باسمي؟

- لحظه واحدة........ أخذت أعبث في الكمبيوتر وقلبي يقفز ويتخبط داخل صدري في قوة، اهدأ أيها الأخرق ودع هذه المعتوهة تنهي ما بدأت؟ أشعر بجسدي يهتز وكأنما أصابتني حمى.

- نعم يا سيدى هناك حجز باسم "نادر عبد المنعم"... .هل هذه أول زيارة للندن؟

- لا..... أنا هنا دائمًا.

ابتسمت في صعوبة وأنا أتحاشى النظر إليه وقلت له: أول زيارة للفندق؟

ابتسم وهو يجيبني: نعم نصحني صديق مقرب بالإقامة هنا.

ما زال كما هو يتحدث ويضحك ويبتسم وتخرج منه الكلمات بتلقائية، أما أنا فأحاول أن أتماسك وأن أجد كلمات علني أنعم ببعض اللحظات الإضافية معه.

حاولت أن أبادله الابتسامة وقلت: ألست لاعب الكرة المشهور؟

- نعم شكرا لإطرائك.

- ليس إطراء فكل الصحف تتحدث عنك.

- شكرا لك .

حاولت أن أجد المزيد من الكلمات ولكنها نفدت جميعا، حمدا لله أنني تكلمت أساسا, ناولته جواز السفر وأنا أقول له: إقامة سعيدة يا سيدي.

انتهت مناوبتي فاتجهت إلى الحمام نظرت في المرآة وقلت لنفسي: هل حقا ما حدث؟ ألم أكن أحلم؟ أكان هو "نادر"؟ كان أمامي نظرت إليه وتحدثت معه، الحمد لله أن هذه المعتوهة الخرساء استطاعت الكلام في وجوده.

أخذت أضع الماء على وجهي وعنقي علني أهدأ قليلا ما هذا الذي يحدث؟ في اللحظة التي قررت فيها أن أستمع إلى عقلي وأن أنسى كل أحلام قلبي وأن أحطم بيدي عناده, في اللحظة التي قررت فيها أن أرضخ "لكريم " فيظهر هو فجأة .

وبعد كل تلك السنوات يااااه... كم مرت من أيام وشهور وسنوات لم يكن في حياتي إلا أنت، حتى وأنا هنا وبرغم كل محاولات "كريم " السابقة إلا أنه لم يكن يسكنني إلا أنت... أنت وحدك من يملأ فراغ قلبي ولياليه الطويلة كأعذب مقطوعة موسيقية للموسيقار المبدع "عمر خيرت"، أشعر بها تتخلل روحي في إحدى ليالي الشتاء الباردة فتغمرني بدفء غريب.

أصبحت هنا في نفس الفندق, في نفس المكان أشعر أنني نسيت كل شيء وكل تعب السنين واشتياقي له وحتى حنقي عليه، كل شيء اختفى، كل البشر، كل شيء.

شكرا لك يا "ويليام ".

لقد كنت في شدة الحزن لأنني سأبقى مكانه الليلة .

ظللت أنظر لنفسي في المرآة وصوتي يتردد داخل جنبات نفسي.

ترى هل تذكرني؟

هل أحس بشيء عندما رآني؟

هل ....؟ وهل؟ وألف هل تدور في رأسي .

ماذا سأفعل الآن؟ كيف سأعود إلى منزلي وأنا أشعر وكأن قطعة من روحي تسكن هنا في غرفة من غرف هذا الفندق؟ ليتنى أظل لولا مستر "ألبرت" لظللت.

لا أعلم إلى متى ظللت على هذا الحال، في النهاية خرجت من الفندق وأنا أشعر بالبرد الشديد، أحكمت المعطف حولي جيدا وتدثرت به ووضعت يدي في جيوبي وجلست على أحد المقاعد المواجهة للفندق وأنا لا أشعر بأي شيء، أفكار غريبة ومبعثرة تتخبطني، والرياح تعصف بي، حتى إن صوتها غطى على كل الأصوات من حولي.

لماذا أشعر بالضياع؟ لماذا أتذكر كل الأشياء السيئة التي مرت بي موت أبي وأمي وضربات الحياة التي لا تنتهي.

لماذا أشعر بحزن غريب ممزوج بشعور من الوحدة؟ ما هذا الذي يحدث لي؟ أسمع صوت "كريم" يتردد في داخلي: ......هل خذلك؟

هل خذلني؟ هو لم يعلم بوجودي حتى يخذلني.

أنا بالنسبة له لم أولد على الإطلاق.

ظللت على هذا الحال فترة من الوقت لا أعلم مدتها، وأخيرا قررت أن أسير قليلا علني أجد في السير ما يهدئ من اضطرابي وروعي.

حتى وصلت إلى المنزل، رغم أن المسافة لم تكن هينة إلا أنني وجدتني أمام البيت، كنت أشعر بالتعب الشديد، ما إن فتحت الباب حتى وجدت صورته والتي احتلت الجدار لوقت طويل، وقد غطتها الأوراق وكأنني أراها للمرة الأولى منذ مدة طويلة أخذت أنزع الأوراق عن الصورة وكأنني أحلم

حتى أزلت كل الأوراق وعادت الصورة كما كانت في السابق تحتل الجدار وتحتل قلبي..

بين الحين والآخر كنت أسمع رنين الهاتف ولكنني كنت أشعر بأن الصوت يأتي من بئر سحيقة وكأن بيني وبينه آلاف الأميال .

جلست على أحد الكراسي المواجهة للصورة وأنا أنظر إليها بإمعان. منذ متى توقفت عن النظر إليها لا أدري منذ متى ابتعدت عن سماع صوت قلبي والشعور بنبضه؟

غفوت أو سقطت في غيبوبة لا أدري إلا عندما رن المنبه الموجود في غرفة النوم معلنا تمام الساعة السابعة، أفقت ووجدتني كما كنت بالأمس بنفس ملابسي ملقاة على الطاولة في الصالة، ما إن رفعت عيني حتى اصطدمت بعينه في حدة، أهذا عتاب ..... ؟!

قمت واتجهت إلى السرير لا أجد في نفسي القدرة على الذهاب إلى الجامعة أشعر أني مريضة، رنين الهاتف لا ينقطع، من الذي يصر على مهاتفتي بهذا الشكل؟

أزلت سلك الهاتف ورحت في نوم عميق.

استيقظت بعد بضع ساعات، ما زال هناك فراغ في داخلي أشعر بأنني لست على ما يرام، ارتديت ملابسي وخرجت من المنزل أخذت أسير على غير هدى جلست على إحدى الكافتريات في الطريق، جلست لفترة وأنا أشعر بصمت شديد بداخلي لا أسمع صوت قلبي ولا صياح عقلي لا أسمع حتى همس نفسي، لماذا هذا الصمت الآن؟! فأنا في شدة الاحتياج إليكما، تحدثا معي، ماذا عليَّ أن أفعل؟ حتى لا أعلم ما الذي ينبغي علي أن أفكر فيه ؟

لماذا هذا الضياع وهذا الألم الذي يعصف بجنبات قلبي؟

حتى أنت أيها العقل!! لماذا توقفت الآن عن الثرثرة قل أي شيء صوابا كان أم خطأ؟

كل عضو بداخلي يشعر بالخوف يخشى من أي كلمة أو قرار في هذا الوقت الحاسم يترتب عليه ألم وندم .

نظرت إلى الساعة في يدي، ما زال هناك وقت لذهابي إلى الفندق، إذن فلأذهب إلى هناك سيرا أريد أن أفكر قليلا ولكنني لا أجد أفكارا ولا خواطر، وفجأة لمع شيء بداخلي وكأنني رأيت وميضا يمر سريعا أمام عيني ووجدتني أهتف: "كريم".

لقد نسيت موعدنا نسيت كل شئ نسيت "كريم" ذاته.

ترى كيف هو الآن؟ وكيف سأواجهه؟ وكيف سأشرح له ما لم أستطع أن أقوله لنفسي .

ما إن اقتربت من الفندق حتى رأيته يقف خارجه في توتر، ما إن رآني حتى أقبل عليّ راكضا.

سألني في قلق: "هنا" هل أنت بخير؟

لم أنطق, أنظر إليه في صمت أشبه بالخرس الذي أصبت به عندما رأيت" نادر" للمرة الأولى في المكتبة أمامي.

يهزني برفق من كتفي:

-"هنا " أنت بخير ؟

يصلني صوته وكأنه يأتي من مكان سحيق، هل ما أمر به نوع من الصدمة.

هتف في حنق : "هنا" ماذا بك؟

أخيرا أجبته في فتور: أنا بخير أشعر بأني مريضة.

صاح في غضب: لماذا لم ترتاحي في المنزل إذن؟ ولماذا لم تجيبي عليَّ؟! لقد اتصلت بك آلاف المرات حتى إني ذهبت إلى منزلك وطرقت الباب، لقد قلقت عليك كثيرا، أين كنتِ؟

أجبته في هدوء أثار غضبه: كنت في المنزل نائمة ولم أسمع طرق الباب.

- ورنين الهاتف؟

كنت أشعر وكأنه قادم من أحلامي.

- "هنا" لقد كان بيننا موعد بالأمس.

- "كريم" لقد تأخرت على العمل.

جذبني بقوة من ذراعي وهو يصيح: أشعر وكأني سأجن، ما الذي حدث بالأمس وغيرك على هذا النحو؟

جذبت ذراعي بقوة من يده وأنا أصرخ في وجهه: لقد جننت بالفعل كيف تجرؤ؟

تركته وابتعدت خطوتين وفجأة وجدته يمسك يدي ويجذبني نحوه في قوة.

صحت في فزع: " كريم" اتركني هل جننت؟

هتف في عصبية: لن أتركك حتى أفهم.

حاولت أن أجذب يدي من يده وأنا أقول له:

- سوف أنادي على أمن الفندق إذا لم تتركني الآن.

ترك يدي ووقف ينظر لي في ذهول وقال:

- "هنا" عندما تحدثت معك بالأمس وافقتِ على مقابلتي، وبعدها اختفيتِ، ماذا حدث لك؟ أريد فقط أن أطمئن عليك.... عندما يئست من حضورك بحثت عنك في كل مكان؛ في الفندق؛ في منزلك عند "كاثرين"، في كل مكان، حتى الجامعة بحثت عنك اليوم في كل ركن فيها، استبد بي القلق وأنا أعلم أنه لا يوجد مكان آخر تلجئين إليه ولم أبحث عنك فيه,.....استبد بي الخوف أن يكون قد وقع لك حادث أو حدث لك أي مكروه، ولم أقصد أن أغضبك أو أسبب لك أي إزعاج.

نظرت له في حيرة؛ لا أعلم لماذا تعاملت معه بهذه الطريقة السخيفة برغم أنني أعلم في قرارة نفسي أنه كان في شدة القلق عليّ... لا أعلم ماذا أقول له؛ بل لا أجد الكلمات التي أقولها، ولعل هذا ما دفعني للحديث معه بهذه القسوة حتى لا أكون مضطرة لأي شرح.

ظل ينظر لي في صمت لا يدري أيتركني ويمشي أم ينتظر؟ وأنا أنظر له في نفس الحيرة لا أدري ماذا أقول؟ وأخيرا هتف باسمى وقال في حزن:

- "هنا" ....أعتذر لو كنت سببت لك أي أذي أو أغضبتك.

وتركنى وانصرف .

أخذت أنظر إليه حتى ابتعد واختفى من أمام ناظري وكأنني كنت أنتظر منه أن يلتفت ولو لمرة واحدة، وقتها ربما كنت ركضت إليه وأفرغت كل ما في روحي إليه، ولكنه لم يلتفت لقد ذهب بكل بساطة.

اتجهت إلى الفندق وأخذت مناوبتي وأنا أتطلع بين الحين والآخر إلى أرجاء المكان من حولي علني أراه ...تراه ما زال في غرفته أم تركها وذهب؟

تصفحت على شاشة الكمبيوتر استمارة دخوله الفندق، وقفت كثيرا عند اسمه وصورته الماثلة أمام عيني أشعر بشعور لا أعلم كنهه؛ مشاعر متضاربة غريبة, الطلبات التي طلبها منذ الأمس مدونة أمامي في فاتورة الفندق، إذن فهذا طعامه المفضل .

ونوع هذا العصير يفضله عن غيره، وماذا أيضا؟ لقد طلب فيلما من متجر الأفلام في الفندق؛ فيلم أكشن.

ها أنا أتعرف عليك للمرة الأولى.

شعرت باقتراب "إيسلي" فأغلقت الصفحة بسرعة وانشغلت في بعض الأوراق أمامي, اقتربت مني وقالت:

- "هنا" هناك بعض الأوراق التي لم يوقعها عميل بالأمس وأنت من سجلت دخوله الفندق.

نظرت لها في اهتمام وأخذت الأوراق من يدها.

اسم العميل: "نادر عبد المنعم ".

نظرت لها في تساؤل فقالت: لا بد أن يوقعها، أرسلها إليه مع أحد العاملين أو انتظري حتى تريه ولكن لا بد أن يوقعها اليوم، مستر "ألبرت" سيغضب لو علم.

- حسنا يا "إيسلي" سوف أهتم بذلك.

أخذت أنظر للأوراق وأنا أفكر؛ ها هى الدنيا تسخر مني مرة أخرى، أم أنها تعطيني فرصة حقيقية هذه المرة.

في المرة السابقة عندما أعطتني تلك الفرصة كانت في الحقيقة خدعة وليست فرصة ظهرت أمامه بلهاء غبية ولكنني هذه المرة متقدمة بخطوة، لقد ألفت هذه اللعبة وأصبحت أعلم بعض قواعدها .

ماذا سأفعل؟ هل سأذهب إليه أم أنتظر حتى يأتي هو؟ ولكن إذا لم يأت؟ إذا انتهت مناوبتي ولم يأت ماذا سأفعل؟ سأكون قد أضعت فرصتي وخسرت.

مر بعض الوقت وحاولت أن أنشغل بما أمامي من عمل وإن كنت بين حين وآخر أنظر إلى الأوراق في صمت.

- "هنا"..

- نعم "إيسلى "....

- هل وقعتِ الأوراق ؟

قلت في تردد: لا ....سوف ....

- "هنا" انظرى ها هو سيد "منعم ".

التفت في لهفة لأجده يقف على بعد مني يمازح صديقه ويضحك ويبتسم بعفوية، جذبني إليه كالفراشة المحلقة حول الضوء، اقتربت منه وقلت في خفوت: سيدي ......

ولكنه لم يلتفت إليَّ ولم يسمعني.

تمالكت نفسي وصحت بصوت أعلى قليلا: سيدي من فضلك .

التفت إليَّ وما زالت ابتسامته تنير وجهه وقال: نعم.

قلت دون أن أجرؤ على النظر إليه: هناك بعض الأوراق التي لا بد أن توقعها.

مددت يدي بالأوراق ورفعت عيني إليه فتلاقت عيننا للحظة أو ربما لدهر كامل، لا أعلم فهذه من اللحظات التي يتوقف فيها الزمن وينعدم وجوده وتختفي الناس وتتوقف الحياة على الكوكب بأسره.

لا أعلم ماذا حدث ولكن حدث شيء ما.... أعلم هذا وأعلم أيضا أننا لن نعود كما كنا، لقد حانت لحظة ولادتي أخيرا بالنسبة له.

لا أحد يسألني كيف؟ ولماذا؟ وأين؟ فمثل هذه الأمور تحدث بدون أي سبب كالأمراض تنقل بالعدوى وأنا كنت في حالة من الحمى الشديدة، ابتسمت وأنا أفكر لقد أصبته بالمرض.

- سيد "منعم " أكل شيء على ما يرام سيدي؟

كان هذا مستر" ألبرت ".

نظر له" نادر" في ارتباك وقال في تردد: نعم شكرا لك.

ثم وقع الأوراق ويده ترتجف، نظر لي مرة أخرى وكاد أن يقول شيئا ولكن وجود مستر" ألبرت" الذي كان ينظر لي في تحفز حال دون ذلك.

أخذت الأوراق واتجهت إلى المكتب وأنا أستجمع شتات نفسي أخذت أعبث بأشياء كثيرة حولي حتى أحاول أن أطغى بضجيجها على ضجيج نفسي.

لا أريد أن أفكر لا أريدك أيها القلب العنيد أن تنطق بأيِّ كلمة ولا أنت أيها العقل الحانق، فلتصمتا، أعلم أنني كنت أريد منكما لو تحدثما معى في وقت ما أما الآن فأنا أريد أن أبتسم أريد فقط أن أتذكر تلك اللحظة، تلك النظرة، ليتها استمرت لآخر لحظة في عمري لآخر قطرة في دمي أعلم الآن أنني سأعيش ما تبقى لي من عمر رهنا لتلك اللحظة.

لم يحاول "كريم" أن يهاتفني أو يأتي مرة أخرى ولم أحاول من جهتي.

لم أفكر، ما زلت أسيرة لتلك اللحظة الحالمة، أنهيت مناوبتي ولم أنتبه أبدا لذلك الجالس في ركن مظلم يراقبني في صمت.

خرجت من الفندق وقررت أن أجلس قليلا في حديقه الفندق.

جلست على أحد المقاعد, ما زال الجو باردا وينذر بعواصف قادمة في المستقبل، ولكن بداخلي كانت هناك شعلة من نار تمنحني الدفء والضوء.

- أتسمحين لي أن أجلس معك؟

التفت ووجدته ......

"نادر"...

نطقها قلبي قبل شفتي.

هل تقابلنا من قبل؟ نطقها في حيرة وهو يجلس بجانبي.

ابتسمت في توتر وقلت في خفوت: نعم تقابلنا.

-أين؟ ومتى؟ أنا لا أعلم إلا أنني رأيتك في مكان ما، لقد أحسست بهذا منذ أول يوم رأيتك فيه، ولكن اليوم ومنذ قليل، أقصد عندما تلاقت.....أقصد عندما نظرت إليك ......لا أعلم ماذا أقول لك؟ أشعر أنني أعرفك ولكنني لا أتذكر.

تذكرت أنني لم أكن أضع العدسات اللاصقة.

استجمعت شجاعتي وسألته في فضول: أحقا تتذكرني؟

- هل رأيتك هنا في مكان ما ؟.... هل حضرتِ لي أي مباراة أو التقينا في النادي؟ أم ترى التقينا في أي مقهى؟

شعرت بخيبة أمل وقلت في أسَى: إذًا أنت لا تتذكر أي شيء.

- أعتذر منك؛ فأنا أقابل أشخاصًا كثيرين، ثم ضرب جبهته وقال في انتصار: هل أنت من فريق التشجيع للفريق قد أكون رأيتك في أحد الاجتماعات و.........

قلت وأنا أقف استعدادا للرحيل: لا أنا لست من كل هولاء ولم نتقابل في هذا البلد إلا في الفندق وأنا أسجل بياناتك في أول يوم قدمت فيه إلينا.

قال في رجاء: انتظري قليلا لو سمحتِ، أعتذر لو كنت أغضبتك.

نظرت له للحظة، وجلست مرة أخرى في صمت.

- هل رأيتك في مصر ؟

أجبته دون النظر إليه: نعم.

قال بلهفة: أين؟ في النادي أم في إحدى المباريات ..أم ......

وقفت مرة أخرى وأنا أقول في غضب: لا هذا ولا ذلك، غريب أن ننسى من نسيء إليهم في يوم من الأيام وأن يختفوا من حياتنا كأن لا وجود لهم، ولا حتى ذكرى.

انتفض من مكانه وهو يقول في ذهول: أنا أسأت إليك في يوم من الأيام.

ابتسمت في مرارة وتركته وسرت، إلا أنه استوقفني في إصرار انتظري أنا حتى لا أعلم اسمك فكيف لي أن أسيء إليك؟! صدقيني أنا لا أتذكر...... أتسمحين أن نجلس سويا في أي مكان ونتحدث قليلا.

نظرت له في تردد فأكمل في إصرار: لن نطيل، أعدك بذلك، وسوف أعيدك إلى أي مكان تريدين حالما تطلبين مني ذلك....أرجوك.

لم أجد مفرا من الذهاب معه، أو لعلني كنت أريد وأحلم بذلك, هل حقا ما يحدث لي حقيقة أم حلم جديد؟!

جلسنا في مطعم راقٍ. كنت أنظر حولي في اندهاش. كم كنت أتمنى لو ذهبنا إلى مكان هادئ وبسيط كتلك الأماكن التي عادة ما أذهب فيها مع كريم ".

"كريم " مرة أخرى! ما الذي أتى به الآن على خاطري.

- ماذا تحبين أن تتناولي على العشاء؟

- هاااااه

- أعلم أنك لم تتناولي عشاءك حتى الآن .

- أي شيء.

- أتسمحين لي أن أطلب لك.

- بالتأكيد .

كنت أنظر له في توتر، كانت قدمي تتحرك تحت الطاولة في حركات مزعجة ومجنونة لا أستطيع أن أسيطر على نفسي أو على عقلي الذي ظل يطلب مني الرحيل وكأنني سأفوت شيئا ما، وكأن هناك ما نسيته ولا بد أن أذهب حالا وإلا سيحدث ما لا يحمد عقباه.

هل نسيت الصنبور مفتوحا؟ أم تراني نسيت النافذة أم نسيت ....

- "هنا" أليس كذلك؟

- هااه نعم, "هنا".

- هل أنت على ما يرام ؟

- في الحقيقة أشعر بالقليل من التوتر.

- لا تقلقي أعدك لن نتأخر... والآن هل تذكريني أين تقابلنا؟ وكيف أسأت لك؟

سألته فجأة ولا أعلم كيف خرجت مني تلك الكلمات:

- أنت مرتبط، أليس كذلك ؟ لقد قرأت في إحدى الصحف هذا الخبر منذ فترة.

نظر لي في دهشة، أعلم أنه لم يكن يتوقع مني هذا السؤال، وأعترف أنني أيضا لم أكن أتوقعه.

أجابني بعد لحظات من الصمت والتردد: نعم أنا مرتبط لابنة عمي.... ولكن ليست هذه إجابة سؤالي التي كنت أتوقع سماعها منك.

ابتسمت للحظة وقلت: إنه شيء طرأ على بالي فجأة.

ابتسم وقال: والآن هل ستجيبين عن سؤالي؟

نعم فأنا ....

قاطعنا النادل للحظات وهو يضع الأطباق أمامنا، وما إن انتهى حتى نظر لي في تساؤل فاعتذرت منه للحظات أن أذهب إلى المرحاض.

أخذت أدور حول نفسي وأنا أنظر في المرآة تارة وإلى الأرض تارة أخرى. ما الذي أفعله؟ وهل هو صواب؟ أم أنني أرتكب المزيد من الأخطاء والحماقات؟ أخرجت هاتفي؛ ترى هل هاتفني "كريم "؟ لا لم يفعل.... أعلم أنه غاضب مني، هل أهاتفه؟

لا لا ليس الآن أنا في حالة من التوتر الشديد ولا أعلم ماذا سأقول؟ أو إلى ماذا سيقودنا الحديث؟ لا بد أن أخرج الآن وإن أنهى ما بدأته.

ما إن اقتربت من الطاولة حتى وقف وأفسح المقعد لي وهو يبتسم: لقد برد الطعام ؟

- أعتذر لك.

- إذن هيا لا داعي لتركه أكثر من ذلك.

تناولنا الطعام في صمت هو لا يريد إحراجي أكثر يريد أن أبدأ أنا الحديث، أكاد أسمعه يتحدث بذلك في داخله.

- هل أعجبك المطعم؟

- نعم إنه رائع، في الحقيقة هذه هي المرة الأولى التي آتي فيها لمطعم مثل هذا.

- ولن تكون الأخيرة.

ابتسمت في ارتباك فقال: منذ متى وأنت هنا؟

أعلم أنه يحاول أن يزيل التوتر بيننا ويشعرني ببعض الراحة, أجبته في ارتياح: منذ سنة تقريبا .

- وماذا تفعلين هنا؟

- إنني أدرس في الجامعة .

- حقا؟

- نعم لقد كنت من أوائل دفعتي في مصر، وعندما أعلنت الجامعة عن فتح باب القبول للمنح المقدمة للخارج تقدمت بطلب والحمد لله قُبلت.

- والفندق ؟

- هو عمل إضافي لزيادة الدخل فمرتب المنحة لا يكفي.

- رائع، وكيف هي الدراسة؟ هل توفقين بينها وبين العمل؟

- نعم الحمد لله أحاول على قدر ما أستطيع .

أخذنا الحديث ووجدت نفسي أتحدث بارتياح، والحق أنه كان بارعًا في إدارة الحوار وكيف حول كل التوتر الذي كان بداخلي إلى هدوء وراحة وكأننا أصدقاء قدامى تلاقوا بعد حين من الزمن.

خرجنا من المطعم وأخذنا نسير ونتحدث ونضحك على الكثير مما حدث لنا هنا في لندن، كان الحوار بيننا سلسلا ومرحا.

كنت أذكر "كريم" كثيرا في حديثي معه ولم أكن أنتبه لذلك حتى سألني: من "كريم"؟

انتفضت وقلت في تردد: إنه صديق من الجامعة، ولقد ساعدني كثيرا هنا في لندن ولا أعلم ماذا كنت سأفعل من دونه؟

نظر لي للحظة وقال: والآن ...هل تريدين أن تقولي لي شيئا؟

نظرت له للحظة وقلت له: لقد كنا جيرانا.

نظر لي في عدم فهم ثم شرد وهو ينظر في عيني، كنت أشعر بنظراته وكأنها تخترقني من الداخل، كأنها أشعة مسلطة على عقلي وقلبي لتكتشف ما بداخلي.

أكملت في ارتباك: الأصح أنكم كنتم جيرانا لخالي, عندما توفيت والدتي عشت مع خالي لفترة وكنت أراك وأنت تلعب الكرة في الشارع خلف المنزل.

ابتسم في انتصار وهو يقول: نعم لقد تذكرت.. أأنت الفتاة التي كنت تهتفين بصوتٍ عالٍ ونحن نلعب الكرة؟

ابتسمت في حرج وقلت: هل كان صوتي مرتفعًا لهذا الحد؟

رفع حاجبه وقال : أتمزحين؟ كنت الفتاة الوحيدة المهتمة بكرة القدم في شارعنا ...ولكنني لم أرك! أعني لم أر وجهك بوضوح ولا أتذكر أننا تحدثنا

من قبل ؟

ابتسمت في مرارة وقلت: بل تقابلنا وتحدثنا. أقصد أنك أنت من تحدث؛ فأنا لم أتحدث بأي كلمة.

- حقا؟ لماذا؟ ماذا حدث؟

في يوم ما وبينما أنا في المكتبة أطبع إحدى المدونات في الحجرة المخصصة للطبع وإذا بي أسمع صوت الجرس المعلق أعلى باب المكتبة تركت ما في يدي واتجهت لخارج الغرفة لأراه يقف أمامي ممسكا أوراقا ويطلب مني شيئا ما...... لم أفهم .... لم أسمع....

توقف الزمن.. تجمدت كنت أنظر إليه غير مصدقة أتراني أحلم.........؟

إنه هو وخصلات شعره المبعثرة على جبهته دون ترتيب.

أكان يلعب الكرة في هذا الوقت؟

انتزعني من شرودي صوته وهو يصيح: يا آنسة لو سمحتِ؟

نظرت له في غباء وقلت: هاااه

ابتسم وقال: أريد نسخة من هذه الأوراق لو سمحتِ.

مددت يدي المرتجفة أخذت الأوراق منه واتجهت للغرفة... لا أعرف ماذا أفعل؟ لقد نسيت كل شيء عن نسخ الأوراق.

أخذت أغدو وأروح في الغرفة للحظات أنظر إلى الأوراق، ثم اتجهت إليه مرة أخرى، نظر لي في عدم فهم فأشرت إلى الأوراق فلم يفهم ولم أنطق.

لحظات ينظر فيها إليَّ ثم ضرب جبهته بيده وقال: آه ...نعم أريد نسخها

مرة واحدة.

تركته واتجهت للغرفة مرة أخرى وسمعته يقول: معتوهة...

أغمضت عيني وأخذت نفسا عميقا حاولت أن ألملم شتات نفسي التي بعثرتها نظرات عينيه في كل مكان دون جدوى.

أخطأت أكثر من مرة ومزقت العديد من الأوراق دون قصد وأنا أسمع صوته بين الحين والآخر متسائلا في نفاد صبر: هل انتهيت؟

وبعد معركة مع نفسي خرجت وأنا أحمل الأوراق في يدي وقد شحب وجهي فسألني في دهشة: هل أنتِ بخير؟

فهززت رأسي بالإيجاب فقال لي: هل أنت خرساء؟

نظرت له في جزع وحاولت أن أنطق، لم أستطع حتى إنني حاولت أن أحرك رأسي من جديد فلم تستجب لي.

ما هذا الذي يحدث لي؟

- الحساب من فضلك؟

نظرت له في غباء.

هتف بصوت عالٍ : ثمن الأوراق؟ كم ثمن الأوراق؟

لم أرد .....لا اعلم كم ثمن الأوراق؟

هل نأخذ ثمنا للأوراق؟

- آنسة هل أنتِ بخير ؟

- هاااااا.....

على العموم هذا ثمن الأوراق.

تركها على المكتب أمامي في نفاد صبر وانصرف وهو يقول : غبية....

أنت هي نفس الفتاة التي كانت في المكتبة؟ مستحيل ولكن كيف؟!

فأنت لست تشبهينها... أعني أن عينيك ذكرتني أنني رأيتك من قبل لكن......لا........لا أنتِ مختلفة.

ضحكت وقلت: بل هي أنا نفس المعتوهة، ولكن باختلاف بعض التغيرات الخارجية.

وانتظرت لحظة وقلت بهدوء:.......... والداخلية أيضا.

فجأة أمسك يدي فلم أستوعب وقال في صدق: أعتذر كثيرا عما حدث في الماضي، أرجو أن تسامحيني.

أفلت يدي من يده في توتر وتلعثمت فلم تخرج مني إلا همهمات، نظر لي في عدم فهم وانفجر في الضحك، نظرت له لوهلة وانفجرت في الضحك معه.

كم من الوقت سرنا؟ وكم تكلمنا؟ وكيف مر الوقت حتى الصباح دون أن نشعر أو نعبأ أو نفكر في أي شيء أو أي أحد؟

لم نشعر بالتعب أو الحاجة إلى النوم، غصنا في الماضي والحاضر، تحدثنا عن كل شيء، قصصت عليه كل تفاصيل حياتي حكيت له عن أبي وأمي وخالي، وحتى عن "حسن " ذلك الطفل المشاغب، وعن وقوفي فوق سطح المنزل وتشجيعي له.

وعن "كريم" و"كاثرين "وحتى "ويليام " ومستر "ألبرت".

وكم تغيرت تلك الغبية عما كانت عليه في الماضي وأصبحت ما هي عليه الآن إنسانة مستقلة ومسئولة وواثقة من نفسها .

حدثني عن حياته وعن دراسته وعن حبه لكرة القدم وعن أهله وعن

حياته هنا في لندن.

جلسنا على إحدى الكافتريات نتناول الإفطار فقلت له وأنا أتحاشى النظر إلى عينيه: لقد حدثتني عن كل شيء إلا خطيبتك فلم تخبرني عنها أي شيء.

توتر وترك ما كان يأكله ونظر لي وقال: هل أنتِ مرتبطة؟

فاجأني سؤال أجبته بدون تردد: لا.

- أتحبين أحدا ما؟

تلعثمت ونظرت إلى الطاولة وأنا ألعب في شعري بعصبية

- "هنا" انظرى إليَّ ...

ما إن رفعت رأسي حتى رن الهاتف فانتفضت في ذعر

- آلو ......"كاثرين ".

- "هنا " كيف حالك؟

- بخير شكرا لك..... وأنت؟

- بخير كنت أريد أن أسألك عن "كريم ".

وقفت في انزعاج ما إن سمعت "كاثرين"، وابتعدت قليلا عن الطاولة وقلت لها في ارتباك:

- ماذا به؟ أهو بخير؟

- لا أعلم يا "هنا" فهو لا يجيب على اتصالاتي ولم أستطع أن أجده في أي مكان منذ الأمس.

- "كاثرين" لقد رأيته بالأمس وتحدثنا، أعلم أنه غاضب مني ولكنه بخير لا تقلقي ...

- وكيف لك أن تتأكدي من ذلك فهو لا يجيب؟

- "كاثرين" صدقيني أشعر أنه بخير، هو يريد أن يظل بمفرده قليلا.........اسمعي سوف أمر عليك بعد الظهيرة، وأعدك أن أجده وأطمئنك عليه.

- "هنا "ماذا حدث بينك وبين "كريم"؟

قلت في تردد: سوف أقص عليك كل شيء عندما أراك.

- حسنا.

- وداعا.

رجعت إلى الطاولة وأنا أشعر بالألم ينغرس في قلبي, ماذا فعلت لك يا "كريم"؟

- أكل شيء بخير؟

قالها "نادر" في اهتمام.

فأجبته في اقتضاب: نعم ......كل شيء بخير, هل من الممكن أن نذهب الآن ؟

- ولكنك لم تنهِ طعامك.

- لقد انتهيت شكرا لك.

- حسنا كما تريدين

ما إن وصلنا إلى المنزل حتى قال لي في لهفة: هل سأراك مرة أخرى؟

أجبته مبتسمة: بالتأكيد في الفندق.

- لا........ لا أقصد الفندق.

قلت في قلق: لا أعلم يا "نادر".

- متى سيكون يوم عطلتك؟

- غدا.

- إذن سنكون معا منذ الصباح الباكر.

- "نادر" .

- ألا تحبين أن نكون معا؟

- الأمر ليس كذلك.

سألني في اهتمام: ما الأمر؟

- إني أخشى .....

- ممن؟ أهناك أمر ما تخفيه عني؟

- حسنا أراك غدا.

- "هنا" ما الأمر؟

- عندما أراك سأقول لك.

- أتعدينني؟

- نعم أعدك.

- حسنا أراك في الغد .

- وداعا.

وقفت أنظر إليه إلى أن غاب عن عيني، صعدت الدرج وأنا أشعر بسعادة غامرة ما هذا اليوم كيف بدأ وكيف انتهى؟

ما إن فتحت الباب ودخلت حتى أسرعت إلى صورته واحتضنتها وأنا أصرخ من الفرح.

وبينما أنا كذلك وإذا برنين جرس الباب انتفضت: أيكون هو؟

أسرعت وفتحت الباب في لهفة وأنا أبتسم وما إن رأيت القادم حتى اختفت ابتسامتي وحل مكانها التوتر.

- "كريم" ....

- أتوقعتِ شخصا آخر.

- لا أبدا ...."كاثرين" في شدة القلق عليك أين كنت؟ ولماذا لم تجب عن اتصالاتها؟

نظر إلى الصورة المعلقة على الجدار خلفي نظرة طويلة حانقة، فنظرت بدوري خلفي في تساؤل ثم عدت بنظري إليه وقلت له: " كريم" هل أنت بخير؟

فاجأني قائلا: ألن نذهب للجامعة؟

صمت للحظة ثم قلت في تردد: نعم .....سأذهب, هل من الممكن أن تعطيني بعض الوقت لأبدل ملابسي؟

- حسنا سوف أنتظرك بالأسفل.

- لن أتاخر.

نظر مرة أخرى للصورة وتركني وانصرف، أغلقت الباب جيدا وجلست على أحد الكراسي ألتقط أنفاسي.

لماذا شعرت بكل هذا الذعر لحظة ما رأيت" كريم" ولحظة ما نظر للصورة وكأنه أمسكني متلبسة بجرم ما؟

على الرغم من أنني لم أنم طوال الليل بدلت ملابسي وهاتفت "كاثرين" وطمأنتها على "كريم" ونزلت لملاقاته أسفل البيت فوجدته يجلس على الدرج وقد أغمض عينيه وارتسم على وجهه حزن عميق.

- "كريم "

- أنذهب الآن؟

- نعم .

انطلقنا دون أي كلمة طوال الطريق كان ينظر أمامه في إصرار وكلما حاولت أن أجد كلمات لأقولها أجدها تختفي وكأنها لم تولد.

حتى وصلنا إلى الجامعة تركته واتجهت حيث محاضراتي لا أعلم ماذا فعل طوال الساعات التي كنت أدرس فيها ولكنني وبعد ثلاث ساعات أعلنت استسلامى التام، كنت أشعر بالحاجة إلى النوم الشديد فقررت أن أذهب إلى المنزل لأنال قسطًا من الراحة قبل موعد عملي، وبالفعل ما إن اتجهت إلى الخارج حتى وجدته أمامي ينظر لي في ثبات:

هل لنا أن نتحدث قليلا؟

قلت في ضجر: "كريم " إنني في شدة التعب وأريد أن أنام.

- لن آخذ الكثير من وقتك.

أجبته في استسلام: حسنا .

سرنا قليلا ثم جلسنا على أحد المقاعد، قلت له دون أن أجرؤ على النظر في عينيه: ماذا تريد أن تقول؟

- أكان هذا هو؟

لم أفهم أو صدمني سؤاله فلم أعرف ماذا أجيب؟

قال في إصرار: الشخص الذي رأيته معك أمام منزلك في الصباح الباكر أكان هو؟

صحت في غضب: أكنت تراقبني؟

قال بنفس نبرة صوته القوية: لا لم أكن أراقبك، كنت أنتظرك لنذهب

سويا إلى الجامعة عندما رأيتكما معا أمام المنزل....أكان هو من حدثتِنِى عنه؟ من خذلك؟

وقفت وكنت في شدة الغضب وصحت بقوة: لم يخذلني أتفهم؟ هو لم يكن يعلم بوجودي.

ابتسم في مرارة وقال: وهل هذا هو عذرك لنفسك؟!

- "كريم" فليكفِ إلى هذا الحد، إن كنت انتهيت فأنا أريد أن أذهب.

أمسك يدي وقال في هدوء: "هنا" كنت أريد أن أقابلك لأطلبك للزواج ما رأيك؟ أتوافقين على الزواج مني؟

قلت في عناد: لا يا "كريم " لا أوافق.

وقف وقال في هدوء: حسنا يا "هنا " كما تريدين ...

أشرت بيدي له وقلت وأنا أبتعد: لا داعي أن توصلني لأي مكان، شكرا لك سأعود بمفردي .

لم أنتظر منه أي كلمة، تركته وانصرفت، ولكنني كنت أشعر بألم بداخلي، سامحني يا "كريم " لا أعلم ما الذي ينبغي عليَّ أن أفعل، ليتني أجد من أتحدث معه عما يدور بداخلي، كنت أنت كل هولاء الصديق والرفيق والأخ وكل شيء بالنسبة لي، وها أنا خسرتك ربما للأبد .

ذهبت إلى الفندق وشعور بالحنق والغضب يسيطر على جوارحي أشعر بأن عقلي توقف عن التفكير واتخاذ أي قرار، بدأت عملي وأنا أردد بأنني لن أفكر في أي شيء لا بد أن أنسى أو أحاول أن أتناسى كل ما يحدث معي فما يحدث غير طبيعي ولا ينذر بأي خير.

وبينما أنا منهمكة، إذ بي أسمع صوتا هامسا بجواري:

- كيف حالك أيتها الموظفة النشيطة؟ قالها "نادر" هامسًا

التفت إليه مبتسمة: الحمد لله بخير وأنت؟

- بخير شكرا لك.... نحن على موعدنا غدا؟

أجبته في تردد: نعم.

- أهناك شيء؟

- لا ....لا شيء.

- إذن أراك غدا.

- إن شاء الله.

- إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

انتهيت من عملي وهممت بالخروج ولكني وجدت "كاثرين " أمامي تنظر لي في عتاب قائلة: هل لنا أن نتحدث قليلا؟

أجبتها بهدوء وإحساس بالراحة غمرني، كنت في شدة الاحتياج إلى صديق أتحدث معه ويفهمني: ما رأيك أن نذهب معا إلى المنزل ونحضر فنجانين من الشاي ونتحدث؟

أجابتني مبتسمة: بكل سرور.

ناولت "كاثرين" فنجان الشاي وأنا أقول لها: ها قد قصصت عليك كل

ما حدث معي في الماضي وفي الأيام الماضية بكل صدق. فما رأيك؟
أجابتنى في حزن: و"كريم"؟
- "كاثرين "لقد اعتقدت أنك ستفهمين موقفي وتقدرين ما أشعر به .
- "هنا" أنت لم تجيبي على سؤإلي وأعتقد أنك أنت نفسك لم تجدي لهذا السؤال إجابة إلى الآن.
تركت الفنجان وصحت في غضب: ماذا أفعل له؟ أجيبيني.! أعلم أنه يحبني ولا أنكر أنني أفتقده وأشعر بالحنين إليه، ولكن "نادر" لقد وجدته أخيرا لقد شعر بي أخيرا.....أتعلمين معنى ذلك؟
- للأسف يا "هنا " أنا أعلم معنى ذلك ولكن أنت لا تعلمين.
عقدت حاجبي في غضب وقلت: ماذا تقصدين؟
- "هنا" أنت لا تحبين" نادر".
ضحكت في سخرية حتى أحسست بالدموع على وجنتي.
أكملت: نعم يا "هنا "هذا صحيح سواء أردتِ أن تصدقي هذا أو لا ولكنها الحقيقة.
- "كاثرين "حقا أنت لم تفهمي أي شيء مما ذكرته لك.
قالت وهي تهم بالوقوف: "هنا " نصيحتي لك أن تكوني صادقة مع نفسك ووقتها سوف تعرفين الإجابة لمشكلتك.
قلت في حنق: "كاثرين" ليس لدي أدنى مشكلة على العكس أنا أعلم تماما ما أريد أما بالنسبة "لكريم " فهو صديقي وأخي ولن أنساه أبدا .
قالت في يأس: كما تريدين يا "هنا".
اقتربت من الباب للمغادرة ولكنها وقفت للحظة وقالت في أسًى: "هنا"

أنت تطاردين الماضي لإثبات شيء ما... أخشى عليك من الندم لو أسأتِ الاختيار ولكنها حياتك.

وما إن فتحت الباب حتى قلت لها في تردد: "كاثرين"....فلتبقي مع "كريم" فهو بحاجة إليك.

نظرت لي للحظة وتركتني وانصرفت دون أي كلمة.

ظللت طوال الليل أفكر فيما قالته هذه المجنونة التي تعتقد أنها تفهمني وتعرف ما في قرارة نفسي أكثر مني، يا لها من بلهاء ولكنها ماذا كانت تعني بأنني لا أحب "نادر " إذن ما الذي أشعر به طوال كل تلك السنوات تجاهه؟

حاولت أن أتجاهل كلماتها التي ظل صداها يتردد بداخلي ليس اليوم وبعد أن أتى هذا اليوم الذي طالما حلمت به ووعدت نفسي أنني سأصل إليه سوف أقابله في الغد.

أشعر بالخوف.. بالتوتر والقلق ماذا سأقول له؟ كيف سأشرح له كل المعاناة التي مررت بها في غيابه, مقدار الألم والوجع الذي ألم بقلبي طوال تلك السنوات، وكيف مرت عليّ من دونه وبوجوده، فهو كان موجودا دائما حتى وهو غائب موجود.

عشقي له والذي لا يعلم عنه شيئا.

كيف سيكون رد فعله هل سيسمعني ؟

وبعدها ما الذي سيحدث؟ هل سأفقده؟

هل سيترك كل شيء من أجلي؟

هل سيحبني ويشعر بي؟

ما الذي سيحدث لي لو تركني وذهب؟

سأعود تلك الغبية المعتوهة مرة أخرى

صحت بقوة وأنا أنظر لصورتي المنعكسة في المرآة: "هنا" فلترفقي بحالك وليكفي .. يكفي فليحدث ما يحدث أنت "هنا" لست بغبية ولا معتوهة، "هنا" الواثقة بنفسها المستقلة والتي لا تريد رجلا ليخبرها أنها إنسانة كاملة، لست نصفا لتنتظر أحدا ليكملها، تستطيع أن تحيا وأن تحقق كل أحلامها بإرادتها هي ودون الحاجة لأحد, "هنا" التي عاشت وكافحت واجتهدت برغم كل ما مر عليها من ضربات الدنيا.

"هنا" أنت قوية سواء كان معك أو لم يكن.

لن تعودي إلى ما كنت عليه أبدا مهما كانت نتائج اللقاء.

ارتديت ملابس مريحة أنيقة ولكن بسيطة، لا أعلم أين سيأخذني اليوم متشوقة للمغامرة القادمة كطفل صغير وعده والداه بالذهاب إلى مدينة الألعاب فظل يحلم بكل لعبة يتمنى ركوبها ومن شدة حماسته وتوتره لم يعد يدري أي لعبة يريد تجربتها أولا، فوقع في حيرة قضت على سعادته وفرحته .

ما زال هناك بعض الوقت قبل أن يأتي فلأهدأ قليلا. جلست ودون أن أدري وجدت أفكاري تأخذني خلسة إلى "كريم" ترى كيف هو؟ أما زال غاضبا مني؟

انتبهت على صوت رنين الباب, انتفضت. ترى أيكون......"كريم"؟

زاد الرنين.. ماذا سأقول له؟

مرة أخرى يا ألله أشعر بالتوتر الشديد.

فتحت الباب في حذر.

- "هنا"......

- "نادر"......

نطقتها في دهشة وأنا أنظر في ساعتي.

- لقد أتيت باكرا لم أكن أتوقع مجيئك قبل بعض الوقت.

قال مبتسما: أحببت أن أفاجئك.

أخرج من خلفه باقة من الزهور وقال مبتسما: هذه الزهور لك.

أخذتها منه في توتر وقلت: شكرا لك .

اتجهت حيث الطاولة ووضعتها ولم أنتبه أنه خطا خطوتين خلفي.......

التفت لأجده ينظر إلى صورته المعلقة على الجدار في صمت غريب، نظرت له في توجس وترقب, أنتظر الكلمة الأولى التي ستخرج من شفتيه, أريد أن أتكلم, أن أقول له أي شيء، ولكنني أخشى من الكلمات وما ستحمله من معانٍ.

نظر لي بعد دهر من الزمن هكذا شعرت وقال لي بهدوء: هيا بنا سنتأخر.

تركني وسبقني لأسفل.... جلست على طرف المقعد القريب مني وأنا أرتعش: ترى ما الذي يدور في خلده الآن .

أخذت حقيبتي ونزلت خلفه وأنا أشعر بأن ساقي أصبحتا رخوتين.

كان واقفا وقد أسند يديه على مقدمة السيارة وما إن رآني حتى أقبل عليَّ وفتح لي باب السيارة .

كان الطريق إلى المجهولِ معه طويلا جدا ومرهقا، وخاصة مع صمته الرهيب، عيناه تنظران إلى الطريق في ثبات، كنت أشعر بأنه ربما لا يعلم إلى أين نتجه؟ هل مررنا من نفس هذا الطريق قبل قليل؟

أريد أن أساله عن وجهتنا ولكنني ما ألبث أن أغوص في المقعد أكثر وأكثر، أحاول أن أرتب الكلمات التي سأقولها دفعا عن نفسي عندما يسألني عن الصورة، ولماذا وضعتها بهذا الشكل؟

في البداية سوف أنكر، نعم يجب أن أقول له إنني من عشاق كرة القدم، هذا طبيعي، وإنه أحد هؤلاء أو أقول له أنني أشجع الفريق الذي يلعب به هذا منطقي أكثر أليس كذلك ؟ ما هذا الجنون الذي أتفوه به؟ لو أنه فقط يقول أي شيء، أي كلمة ولكنه صامت كتمثال من الشمع .

وبعد حوالي ساعة أو أكثر قليلا توقفت السيارة أمام "هايد بارك", وهى إحدى الحدائق الموجودة شمال لندن وأكبرها في المساحة، في الحقيقة لقد أسعدني اختياره لمثل هذا المكان؛ فالمساحات الخضراء الشاسعة والبحيرات التي تملأ المكان تعطي انطباعا بالحرية والراحة، وقد كنت في شدة الاحتياج لمثل هذا الشعور بالحرية والاسترخاء والراحة النفسية .

أطلنا السير في الحديقة، إنها في غاية الروعة وقد كانت المرة الأولى التي أزورها فيها.. فهي تحتوي الكثير من المناظر الخلابة وبحيرات البط والبجع، كنت منبهرة بكل هذا الجمال الذي أراه حتى أشار لي لنجلس على أحد المقاعد.

لقد حانت لحظة الحقيقة، نظرت له في ترقب وقبل أن ينطق قلت له في توتر: قبل أن تقول أي شيء أريد أن أوضح لك شيئا ما.....

نظر لي في اهتمام فقلت في تردد: أنت تريد أن تعرف لماذا قمت بتعليق صورتك على الجدار؟

أجابني في هدوء شتتني: لا.

نظرت له في عدم فهم، فهذا آخر ما كنت أتوقع سماعه منه في تلك اللحظة فأردف قائلا: بل أريد أن أسالك منذ متى تملكين هذه الصورة؟

أطرقت برأسي مفكرة متى كان هذا ؟............

كنت عائدة من الكلية في طريقي إلى المكتبة، وأنا في الباص، وبينما أنا

أنظر من النافذة رأيت مجلة تحمل صورته معلقة في الطريق لأحد بائعي الصحف صحت بأعلى صوتي للسائق أن يقف أريد أن أنزل هنا لو سمحت...أوقف الباص...أرجوك.

صاح السائق وجميع الركاب في غضب فهذا المكان ليس للوقوف، ولكني أصررت ونزلت أهرول ناحية بائع الصحف، اختطفت الجريدة بسرعة حتى أنني مزقت أحد صفحاتها والبائع يصيح في غضب وأنا أحاول أن أهدئ روعه: لا تقلق سوف أدفع لك ثمنها أو حتى ضعف ثمنها لا تقلق.

أخذت أنظر إلى صورته طويلا بعد أن دفعت للرجل المال، كنت أشعر بالحماس الشديد، أخيرا سأعرف اسمك، أخيرا أتت اللحظة التي كنت في انتظارها، وما إن فتحت الصفحة حتى وجدت من يسبني ويصرخ فيَّ بشدة وأنا في ذهول وأشخاص كثر تجمعوا من حولي، انتبهت أنني كنت أعبر الطريق وأنا أنظر في المجلة ولم أكن منتبهة للسيارات من حولي.

- الحمد لله أنك بخير.

نطقها أحد الواقفين حولي.

نظرت لهم في دهشة وتركتهم وانصرفت وما زال سائق السيارة يسبني، ولكن لم يكن هذا ما يهمني كانت المجلة تحمل لي ضربة جديدة وألما جديدا، كانت المجلة تتحدث عن خطبة اللاعب "نادر عبد المنعم "المقامة بأحد فنادق القاهرة، وقد حضر الحفل عدد من رموز الرياضة و..........

"نادر" اسمه "نادر" وأخيرا ......" نادر".

- "هنا"

نظرت له في حدة: عذرا لقد شردت قليلا...

- أأنت بخير ؟

- نعم ....في الحقيقة إن هذه الصورة معي منذ ثلاث سنوات

- حقا كل هذه المدة ؟

ابتسمت وأنا أقول محاولة الهروب من عينيه: ولكنها على الجدار منذ عام....... منذ أن أتيت إلى لندن وسكنت في هذا المنزل.

- "هنا"...."هنا" انظري إليَّ أرجوك لا تهربي مني.

- "نادر" أنا لا أهرب.......أنا فقط ....

- ماذا؟

- لا أدري ماذا أقول؟

- الحقيقة, ما تشعرين به؟

ما إن سمعت هذه الكلمات حتى نظرت إليه في دهشة وأنا أردد في انفعال: ما أشعر به؟ أتريد حقا أن تعرف ما أشعر به؟

- نعم ....

- حسنا ..حسنا .....سأخبرك ما أشعر به.....هل تعلم كم عمري؟

نظر لي في تعجب من السؤال ولم يجب.

- سأقول لك.....عمري ستة عشر عاما.

لاحت منه ابتسامة متعجبة، قلت له وأنا أبتسم بدوري وأكملت: أراك تبتسم متعجبا أليس كذلك؟

- "هنا"........ قالها وهو يهم بالوقوف.

أشرت له بيدي أن يظل جالسا كما هو وقلت في انفعال:

أرجوك دعني أكمل... التقطت أنفاسي لحظة وأكملت: أراك تبتسم في تعجب، معك حق ولكنني أيضا على حق، لقد رأيتك للمرة الأولى في حياتي وأحببتك منذ أول مرة رأيتك فيها، وقتها كان عمري ستة عشر عاما كنت أنت الأمل والحياة بالنسبة لي بعدما أحسست بأن حياتي قد انتهت بموت أمي وأبي قبلها، جئت أنت وجئت معك بحياة جديدة وآمال كبيرة لأحققها دون أن تعلم أو تدري بمشاعري أو تعلم بوجودي من الأساس، كنت أنت الطريق طوال السنوات الماضية لأستمر في حياتي.

- "هنا"...... نطقها في شغف.

نظرت له في ذهول وسمعت نفسي تحدثني أحقا نطقتِ بما سمعت ؟

رددت في انفعال: نعم ..نعم منذ ذلك الوقت وقد توقف عمري عند هذا السن برغم مرور كل تلك السنوات، وما حملت معها من ألم وأوجاع وإحباطات، إلا أنني ظللت متمسكة بعمري ذلك لم أرد أن أكبر أو تزيد سنوات عمري عن ستة عشر عاما ....

حملتك في داخلي برغم شعوري بأنني قد لا أراك مرة أخرى إلا أنني ظللت أدعو الله أن ألتقي بك، وأن تتاح لي الفرصة للحديث معك، وبرغم ذلك لم أبحث عنك، ولم أحاول أن أعلم أي شيء عنك، الشيء الوحيد الذي سعيت بكل طاقتي لمعرفته عنك كان اسمك، ويا ليتني لم أعلمه؛ لأنني في اليوم الذي عرفت فيه اسمك عرفت فيه أنك مرتبط، وكان معرفة هذا الأمر هو أشد الأمور ألما عليَّ بعد موت والدَيَّ.

بعدما انتهيت أوليته ظهري ووقفت ألتقط أنفاسي المتقطعة وأحاول

أن أسيطر على انفعالاتي وضجيج الأصوات المتصارعة بداخلي...

كنت أشعر وكأنني كنت أعدو لمسافة طويلة، وأخيرا حانت لحظة النهاية.

اقترب مني ولمس بأصابعه كتفي وهويردد اسمي، أغمضت عينيَّ في ألم، لم أكن أعلم أن قول الحقيقة صعب لهذه الدرجة، ويا لها من حقيقة!

- "هنا" ...."هنا" .....اجلسي.

جلست وأنا أشعر بالضعف الشديد وكأنني أسقط في جب عميق، وأنا أتساءل في نفسي: هل ما فعلته كان صوابا؟

سمعت صوتا يجيبني في دهشة؟ وبماذا تفيد الإجابة الآن؟ لقد حدث ما حدث فلتكملي الطريق الذي اخترتِه للنهاية؟

سألته في خوف: وكيف ستكون النهاية؟

أجابني مبتسما: هذا ما ستقررين فلتحذري؛ فإنها الفرصة الأخيرة، أنت من ستقررين مصيرك؟

أشعر وكأنني سأفوت القطار أو أن شيئا مهما سيحدث ولن ألحق به.

- "هنا" إن أمرك بيديك استمعي إلى قلبك.

- إن قلبي هو من أتى بي إلى هنا.

- ليس قلبك يا "هنا"..... للمرة الأخيرة استمعي إلى قلبك.

- "هنا" ...."هنا"..... هل أنت بخير؟

فتحت عينى لأجد "نادر" يحمل في يديه زجاجة ماء، وهو ينثر بعض قطرات الماء على وجهي.

اعتدلت في جلستي مضطربة وأنا أسأله: ما الذي حدث؟

- "هنا" أنت بخير، هل نذهب إلى المشفى؟

- لا ....شكرا أنا بخير، لقد أحسست بالدوار، اعتذر عن إزعاجك.

- لا عليك، المهم أن تكوني بخير.

جلست لبضع دقائق أحاول أن أستجمع شتات نفسي، شربت بعض الماء، كنت أحاول أن أهرب من نظراته التي تحاصرني في إصرار، أفكر في جنون فيما سيقوله أو فيما يفكر في هذه اللحظة الراهنة.

- "هنا" ....

أسرعت قائلة: " نادر" قد أكون قد تسرعت فيما قلته لك.

قال في اهتمام : لماذا تقولين هذا؟

أجبته دون النظر إليه: لم يكن من المفترض أن أقول أي شيء، ولكنني ولو لمرة منذ سنوات أشعر بأنني قد أزلت حملا ثقيلا عن نفسي وبأنني قد بررت بوعدي لها بأنني سألقاك في يوم من الأيام وأنك ستعلم من أنا؟ وماذا أحمل لك في قلبي طوال تلك السنوات الماضية، كنت مدينة لنفسى ولك... أنت لك فضل كبير في حياتي؛ لولاك ما كنت وصلت لما أنا عليه الآن.... لولاك لصارت حياتي عادية، كنت تزوجت من شخص ما، وأنجبت طفلين، وعملت أنا أيضا مُدرسة في مكان ما ونسيت كل شيء عن أحلامى وأحلام أبي أن أصبح إنسانة ذات شأن في يوم ما ......

لم أكن سأطأ لندن لولاك في حياتي، فأنا مدينة لك بالكثير.

ابتسمت وقلت: أتعلم لم أدرك ذلك إلا الآن.

ابتسم بدوره وهو يقول: وأنا سعيد لوجودي في حياتك.

ابتسمت في تردد ونظرت إلى الأرض.

- "هنا"

نظرت له في اهتمام.

أكمل: إنني مرتبط بابنة عمي.........

قلت في نفسي إنها المرة الأولى التي يحدثني فيها عن هذا الأمر.

لقد كبرنا سويا وعندما انتقلت للنادي اتفق والدي وعمي على الخطبة ووافقت عليها؛ فهى ابنة عمى تربينا سويا ومناسبة وتحبني كثيرا .

سقط قلبي بين ضلوعي.

أردف في حزن: في حقيقة الأمر لم أكن أفكر في الزواج أو الارتباط، كان كل ما يشغل تفكيري هو لعب الكرة فقط؛ فهي عشقي وحلمي الوحيد أن أصبح لاعب كرة قدم محترفا؛ ولذلك وافقت أبي عندما رأى أن الارتباط سيكون له تأثير كبير على حياتي واستقرارها، وابنة عمي ستكون زوجة مناسبة وعلى استعداد أن تنتظرني لأحقق ما أريد.

نظرت له في حيرة وقلت: هل نرحل الآن؟

- "هنا" ....أنا فقط أشرح لك الوضع.

- وماذا بعد؟

أمسك يدي وقال: منذ أن تلاقت أعيننا وأنا أشعر بشيء ما, صدقيني لا أعلم ما هو؟ ولكنه شعور يراودني للمرة الأولى، أريد أن أراك دائما، ولا أريد أن أبتعد عنك.

أجبته في حسرة وأنا أفلت يدي من يديه: ولكنك كما قلت مرتبط بابنة عمك، ومن يعلم قد تكونان تجهزان لحفل زفافكم، ففيم يفيد هذا الآن؟

قال في رجاء : أعطيني فرصه يا "هنا" أريد أن أفهم حقيقة ما أشعر به

يتغلغل بداخلي تجاهك، أريد أن أرى بوضوح ما يحدث حولي، لم أفكر من قبل في أي شيء يخص قلبي، وأشعر بأنها المرة الأولى التي أدرك فيها هذه المشاعر، كما قلت لك كان شغفي الوحيد لكرة القدم فقط. أما هي فكانت موجودة دائما في حياتي.

أحسست بالألم يعتصر قلبي عندما أتى على ذكرها.

-"نادر" دعنا نذهب أشعر بأنني لست بخير.

- حسنا ولكن عديني أولا.

نظرت له في تساؤل.

- أن أراك........ أن نلتقي دائما .

- "نادر"........

- أرجوك أريد أن أعرف حقيقة شعوري تجاهك.

ابتسمت في مرارة: هل يحتاج الأمر لكل هذا؟

- نعم أشعر معك بأنني طفل يتعلم خطواته الأولى....عديني..

صمت أفكر: هل سأستطيع؟ هل يستحق الأمر كل ما سيأتي في المستقبل من وجع؟

- "هنا" عديني أن نلتقي ......؟ دعينا نتعارف من جديد أريد أن أقرأ عينيك، ما زلت أرى الكثير من الكلمات التي لا أعلم كنهتها بداخلهما....أعتقد أن هذا حقي طالما كنت موجودا في حياتك طوال السنوات الماضية. امنحيني فقط بعض الوقت أمضيه معك....هل اتفقنا؟

أومأت برأسي موافقة وأنا أبتسم.

تعددت لقاءاتنا، كنت أرى "نادر" كل يوم بعد انتهاء العمل، كان

يأخذني ويهرب بي إلى أماكن ريفية جميلة بعيدة عن ضجيج العاصمة ومطاردة الصحفيين له، كان يعلم جيدا أين يجب أن نكون؟ كنت أشعر بالانبهار الشديد بكل هذه الأشياء الغريبة التي تحدث حولي .

كانت ضحكاتنا تسابق حديثنا، أشعر معه بالبهجة والسعادة ولكنها دائما سعادة ناقصة, لوحة جميلة ولكنها لم تكتمل، ما زال هناك شيء ما ضائع لا أدري ما هو؟

أخذني معه لعالمه الجديد ولكنني ودون أن أشعر كنت أحمل معي "كريم" كنت أشعر أنه معي في كل مكان أذهب إليه، كنت أشعر بحنين شديد إليه وخاصة بعد أن أعود إلى المنزل، كنت أفتقده وبشدة لقد فقدت أثره حتى في الجامعة، لم أكن أراه، اختفى تدريجيا من حياتي هو و"كاثرين "ما إن أنهي عملي حتى أجد "نادر" ينتظرني بسيارته أمام الفندق لتبدأ مغامرة جديدة كل يوم، ويوم الإجازة كنا نقضيه معا منذ الصباح .

وأيام التدريب والمباريات كنت أقضي الوقت في تشجيعه والهتاف له في المدرج .

يا لها من أيام مرت سريعا وكأن الرياح الباردة كانت تدفعها دفعا لتعدو بسرعة دون أن أدرك كيف مرت دون أن أشعر؟

حتى أتى يوم كنا معا نتناول العشاء في أحد المطاعم، فاجأني بأنه سوف ينهي خطبته.

وقف الطعام في حلقي، شعرت بالذعر الشديد، أشعر بأن هذا الأمر لن يمر مرور الكرام، والحق أنني كنت أشعر بالحزن؛ فهي لم يكن لها أي ذنب فيما حدث. قلت له في توجس:

- أحقا ستفعل؟

- نعم سأفعل ...... "هنا " أنا أحبك.

تجمدت في مكاني: ماذا قلت؟

- أحبك ....أحبك يا " هنا ".

قلت في ذهول: أحقا ما سمعت ؟!

- أحبك يا "هنا ".

أمسك يدي ونظر في عيني وقال: أتعلمين سوف أتقدم لخطبتك بعد غد.

- حقا ....؟!

نعم في الغد سوف أخبر أبي وبعدها سأذهب لأشتري لك أجمل خاتم خطبة وبعد غد سوف آتي إليك حاملا قلبي بين يدي وأسالك سؤالا واحدا وأتمنى أن تكون إجابتك هي نعم.

- "نادر" أحقا ما تقول؟ هل ستفعل هذا من أجلي؟

- "هنا " ...لقد أصبحت لا أستطيع العيش دونك؛ أنتِ كل حياتي.

- لا تعلم مقدار سعادتي، أشعر بأن كل السنوات الماضية وكل ما حدث فيها انتهى وإلى الأبد.

- أعدك أن أعوضك عن كل يوم مر عليك بدوني .

- وأنا لا أريد غيرك، لقد انتظرت هذه اللحظة منذ سنوات.

- إذن دعينا لا ننتظر أكثر من يومين فقط وبعدها لن يفرقنا إلا الموت.

أجبته في سعادة : حتى الموت لن يفرقنا أعدك بذلك.

عدت إلى المنزل طائرة لم أكن أشعر بأنني أسير على الأرض؛ بل أنا

أحلق في أعلى السماء لا أصدق أخيرا لقد أتى هذا اليوم المستحيل وأصبح ممكنا ومتاحا، كل شيء مستحيل في هذه الحياة بالأمل والتحلي بالإيمان والتمسك بالدعاء قد يصبح ممكنًا، إن للدعاء فعلا أكثر من السحر؛ فالدعاء قد يغير الواقع حقا ويجعل الأحلام حقيقة تراها العين.

ما إن وضعت رأسي على الوسادة حتى ذبت في نوم هنيء سريع، هذا ما ظننته في بداية الحلم حتى أتى القطار سريعا وعلا صوت صافرته يصم الآذان، كنت أضع يدي على أذني لا أحب صوت القطار لقد كرهته، وأصبحت أهاب صوته، ظل صوت يتردد داخلي أن أصعد إلى القطار: هيا بسرعة. وما إن هممت بالتحرك حتى وجدت قدمي مثبتتين إلى الأرض في قوة لا أستطيع أن أتحرك، أبي يصرخ فيَّ: اصعدي إلى القطار بسرعة يا "هنا ".

صوت صافرة القطار تعلو ....

- "هنا "اصعدي .

- لا أستطيع لا أستطيع أن أتحرك .

- "هنا "...............

وفجأة تحرك القطار بسرعة وأنا أصرخ في ذعر أن ينتظرني، أن يساعدني أحد ما حتى اختفى من عيني.

استيقظت فزعة باكية لا أدري لماذا؟ ولكن ظللت أردد أنني فوَّت القطار، أشعر بأن هذا شيء غير مبشر بالخير.

كنت أشعر بأنني لست بخير اليوم لن ألتقي "بنادر " هكذا اتفقنا،

أخذت أفكر ......يجب أن أتحدث مع "كريم" يجب أن أخبره بأنني و"نادر" سوف نرتبط، سأقول له إنه سيتقدم لخطبتي وإنني سأوافق، يجب أن أراه، ولكن أين؟ وكيف؟ لقد مر وقت طويل منذ آخر لقاء بيننا ولم يكن لقاء جيدا.

بحثت عنه في الجامعة دون جدوى، حاولت مرارا الاتصال على هاتفه ولكنه مغلق، حتى " كاثرين " سألتها عنه دون جدوى فهى لا تعلم أين هو؟ إذن ليس أمامي إلا البحث في الأماكن التي كنا نذهب لها سويا من أين أبدأ؟

بعد عدة محاولات وجدته واقفا على جسر برج القلعة، المكان الأول لنا؛ حيث قصصت عليه قصتي وما فعلته بي الدنيا، كان ينظر إلى المياه بعيون خاوية.

- "كريم"...

نطقتها في شفقة لقد تبدل حاله كثيرا عما مضى، نظر لي غير مصدق:

- "هنا" أنت هنا حقا.

- كيف حالك؟

- كيف حالك أنت ؟

- إنني بخير....أريد أن أتحدث معك ..هلا جلسنا في مكان ما؟

- بالتأكيد ....

جلسنا في أحد المطاعم على الطريق, نظرت له في أسًى لا أعلم كيف سأستطيع أن أقول له ما أريد؟ وهو بهذا الشكل كيف سيتقبل الأمر؟

- "كريم", لقد افتقدتك كثيرًا طوال الفترة الماضية, أين كنت؟ ولماذا لم

تتواصل معي؟

قال في اقتضاب: لم أحب أن أثقل عليك.

- "كريم" أنت صديقي وأخي، ولن أستطيع أن أنسى أبدا ما فعلته من أجلي.

ابتسم في مرارة وقال: أخوكِ؟! ....

تجاهلت ما قال وكأنني لم أسمع، وقلت وأنا أحاول أن أبتسم: هناك الكثير من الأخبار السعيدة، وكنت أتمنى أن تكون أنت أول من يعلم.

أجاب في سخرية: تهنئتي.

حاولت أن أتظاهر بالهدوء وقلت: "كريم" عندما قصصت عليك ما حدث لي في الماضي وقصصت لك ما حدث مع أبي وأمي، وكيف انتقلت للعيش لدى خالي، أخفيت عليك أمرا ما... وقتها كنت أشعر بأنه ليس عليك أن تعلم هذا الشيء.

قال في حنق: والآن أتى هذا الوقت ..... لا يا "هنا " ليس مهما الآن أيضا أن أعلم أي شيء.

- "كريم" كنت في السادسة عشرة عندما رأيته للمرة الأولى وأحسست بأنه سرق قلبي.

- "هنا" إنه لا يحبك .

أحسست بالغضب يملأ عروقي: وماذا تعرف أنت عنه أو عني لتحكم عليه؟

- أنت تخدعين نفسك.

ابتسمت في سخرية وقلت له: سوف يتقدم لخطبتي في الغد.

- وخطيبته؟

نظرت له في تحدٍّ فأكمل: لقد قصت على "كاثرين " كل شيء.

- كنت أعلم أنها ستفعل ولهذا قلت لها كل شيء لتوفر عليّ الكثير.

- "هنا" أنت كل شيء بالنسبة لي.

قلت في صدق وأنا أنظر إليه: هل ستصدقني لو قلت لك، وأنت كذلك أيضا.

ابتسم في فرح فأكملت: ولكنه فارس أحلامي من احتل قلبي لسنوات، أنا مدينة لنفسي بذلك، أنت لن تفهمني أبدا مهما حاولت أن أشرح لك.

في البداية ضحك وتمنى لي الخير وبعدها أمسك بيدي وأخذ يبكي، كانت من أصعب لحظات حياتي وأنا أتركه وأمشي؛ لم يكن في يدي ما أستطيع فعله.

لم أستطع أن أنظر خلفي، سِرت وأنا أغلق كل الأصوات التي تصرخ في داخلي... سامحني يا "كريم" هذا ما حلمت به لسنوات, وها قد أتى أخيرا هذا اليوم الذي انتظرته لسنوات، ولكنه وكالعادة كانت في انتظاري مفاجأة، لقد تأخر عن موعدنا، اتصل بي وأخبرني بأنه قد وقع له حادث تصادم وسوف يتأخر وإن لم يأتِ اليوم سيكون عندي في الغد.

مرت عليَّ الليلة ثقيلة، وكل ذكرياتي تمر أمامي, وعيناي تفيضان بالدموع وأنا أتذكر وتلمع بعض الكلمات والمواقف أمام عيني، كانت المشاهد تتراص أمامي وصوت يتردد في أرجاء المكان: "هنا" ستفوتين القطار.

ظللت على حالي حتى غالبني النعاس في مكاني على ذات الكرسي أمام

النافذة حتى لاح الصباح، أطلق المنبه رنينه معلنا تمام الساعة السابعة، انتفضت من مكاني, استيقظت وكأنني كنت في رحلة طويلة من الذكريات والعودة بالزمن بين الماضي والحاضر، وكلها لا تحمل إلا صورة "كريم" تطوف وتطفو فوق كل ذكرياتي.

ذهبت إلى الحمام واغتسلت, أحسست وكأن الماء يغسلني من الداخل والخارج يزيل الكثير من الأشياء والأفكار العالقة بعقلي.

ارتديت ملابسي وجلست أمام المرآة أصفف شعري, وعيناي تنظران إلى أعماق نفسي وتحدثها، لقد وجدت إجابات كل الأسئلة التي كنت أبحث عنها، وعرفت حقيقة مشاعري، علمت أي قطار على أن ألحق به، كانت الإجابة أمام عيني طوال الوقت، ولكنني أبيت أن أراها، كيف اختلطت المشاعر؟ وكيف أصاب العمى قلبي فأصبح لا يبصر ولا يسمع إلا صورا باهتة غير واضحة المعالم.

علا صوت رنين الهاتف، نظرت إليه في فرح إنه " نادر".

- "نادر"..أين أنت؟ لقد انتظرتك طويلا.

- "هنا" أريد أن أراك الآن.

قلت في سعادة: وأنا أيضا أريد أن أراك بشدة، أين أنت لآتي إليك؟

- أنتظرك في الأسفل.

- أعطني دقائق وسأكون أمامك .

فتحت الخزانة في سرعة وأنا أفتش عن شيء مناسب لكن يدي امتدت لأول شيء ارتديته عندما وصلت لندن لأول مرة.

ارتديته على عجل ورفعت شعري لأعلى.

نظرت لنفسي لمرة أخيرة في المرآة وذهبت.

عندما رآني حاول أن يبتسم وهو يقول في إرهاق:

- كانت ليلة طويلة، أعتذر عما حدث.

ابتسمت وأجبته: حمدا لله أنها مرت بخير.

اختفت الابتسامة من وجهه وقال في تردد: أريد أن أتحدث معك في أمر مهم.

أومأت برأسي موافقة وقلت: وأنا في شدة الشوق لسماع ما تود أن تقول.

- هلا ذهبنا إلى مكان ما؟

- بالتأكيد .

ذهبنا إلى "الهايد بارك " كما ذهبنا أول مرة، كان الطريق طويلا وصامتا ولكنني كنت مستمتعة بكل لحظة وكأنني أرى الطريق لأول مرة، كنت أراه ينظر لي نظرات جانبية متعجبة، فكانت ابتسامتي تزيد؛ فأنا أحب هذا المكان حقا أشعر بالتواجد فيه بالسكينة والاسترخاء.

وعندما وصلنا أخذنا نسير لمدة ونحن ننظر لبعضنا ونبتسم دون أي كلام.

أشار إلى مقعد قريب وهو يقول: هلا جلسنا؟

جلست وأنا أتحرق شوقا لما سيقول، أعلم في قرارة نفسي بالكلمات التي سينطق بها، حلمت بها بالأمس سمعتها..... ليتني أستطيع أن أنطق بها قبله، ولكنني أرغم نفسي على سماعها، لن أفوت هذه الفرصة ....

- "هنا".... الأمس كان يوما شاقا.....لا أدري من أين أبدأ ؟

ابتسمت في صمت.

مد يده في جيبه وأخرجها كما توقعت علبة جميلة من القطيفة زرقاء اللون كما أحب، فتحها في تردد فرأيت بداخلها خاتمًا رائعًا يتوسطه حجر من الألماس, قال في تجهم: لقد اشتريت لك هذا بالأمس.

قلت مبتسمة وأنا أنظر إليه: إنه رائع.

- "هنا " لقد تحدثت مع والدي تحدثت معه عنك قلت له ما أشعر به.......

أجبته في هدوء: وبما أجابك؟

صمت في حزن ونظر إلى الأرض وقال: سوف أعود إلى القاهرة اليوم مساء.

نظرت له في تساؤل، نظر لي للحظة وأشاح بنظره عني وهو يقول: لقد مر والدي بأزمة قلبية ونقل على إثرها إلى المشفى بعد حديثي معه ولا بد أن أعود لأطمئن عليه.

قلت مطمئنة: إن شاء الله سيكون بخير.

نظر في عيني وأمسك يدي وقال: "هنا " إني أحبك ولكن ......

جذبت يدي من يده برفق ووقفت وقلت مبتسمة: ولكن .....أتعلم يا "نادر" طوال الفترة الماضية ومشاعري كانت مبعثرة وتائهة.... قبل أن أراك في الفندق لأول مرة كنت سأوافق على الزواج من "كريم" ....

عقد حاجبيه في ضيق......أكملت: ولم يكن ذلك بدافع الحب فلم أكن أشعر وقتها بأي مشاعر خاصة تجاهه ولكن لنفس السبب الذي جعلك ترتبط بابنة عمك، إنه مناسب وإنه يحبني كثيرا ولكن عندما رأيتك تبدل

كل شيء أتيت وأتى معك كل شيء, كل المشاعر والأحاسيس, الحب الأول والحنق على الدنيا والوحدة والألم والحزن, كل أحاسيس السنوات الماضية كلها أتت دفعة واحدة..أعترف لك.. لقد فقدت توازني واختل ميزان عقلي.. كنت أرى فيك صورة أبي ووفاة أمي إحساسي باليتم وشعورك بالسخرية مني في الماضي تمزق قلبي وأنا أتذكر الفتاة اليتيمة التعيسة الغبية المعتوهة، الفتاة التي لم تكن تحمل أي ثقة في نفسها ولا في أي أحد....... ربما هي جميلة ولكنها كانت ترى نفسها قبيحة لقلة ثقتها بنفسها فقيرة لم تكن تملك أي شيء إلا حبك الذي جعلها تتحدى المستحيل لتصل لما هي عليه الآن.

كانت نظراته الصامتة الحزينة تحثني أكثر للبوح بكل الأسرار التي حملتها بداخلي يوما ما.

أكملت دون توقف بنفس الهدوء والثقه بالنفس: أتعلم قالت لي "كاثرين " إنني لا أحبك ويجب أن أكون صادقة مع نفسي حتى أعلم ما أريد وقتها اتهمتها بالجنون والحماقة قلت لها: ماذا تعرفين عنى لتقولي ذلك؟

- "هنا " نطقها في أسًى....

أشرت له بيدي ...دعني أكمل أرجوك.......وضعت يدي على جبهتي للحظة ثم قلت: نعم معها حق ..

- "هنا " نطقها في ذهول ...

ابتسمت وقلت: كما قلت لك في الماضي أنا مدينة لك بالكثير ولكنني بعد وفاة والداي كنت كالغريق الذي يريد أن يتعلق بأي شيء ليظل على قيد الحياة كنت أريد أن ينتشلني أحد ما من حزني ويتمي ووحدتي وكنت

أنت هذا الشخص، ولولا وجودك في حياتي ما كنت وصلت إلى هنا.

- "هنا" ماذا تقولين؟

كنت مدينة لنفسي بأن أجعلك تحب تلك الغبية المعتوهة التي لم تكن تراها ولم تكن تشعر بوجودها يوما وكأنها لم تخلق ......

بالأمس وأنا أنتظر حضورك، تذكرت كل شيء وفهمت كل شيء. أتعلم؟ لولا تأخيرك ما كنت فهمت إلا بعد فوات الأوان، لو كنت أتيت في موعدك لوجدتني أطير من فرط السعادة وقتها كنت سأشعر بأنني أنتصر على الحياة ووجدت حب حياتي أخيرا ولكن الحقيقة ستكون بأن الحياة صفعتني من جديد.

ومدينة لعودتك لحياتي مرة أخرى، فلولا عودتك ما علمت مقدار حبي "لكريم" ...

نظر إلى غير مصدق وهو يقول: هل تدركين معنى ما تقولين؟

سألته في انفعال: "نادر" لقد رفضني والدك، وهو الآن مريض، وسوف يبتزك عاطفيا و يضغط عليك لتبتعد عني وقتها ماذا ستفعل؟

أجابني في ارتباك: كنت...سأحاول معه.. لم أكن سأستسلم بسهولة.

- إن كان ما تقوله حقا فلماذا لم تعرض عليَّ الزواج؟

زاغت عينه ولم يجب فأكملت: لقد أريتني الخاتم ولكنك لم تطلب مني الارتباط وهذا ليس له إلا معنى واحد: "إنك تقود معركة خاسرة".

- "هنا " ما حدث لأبي جعلني أفقد التركيز، فلم أعرف ماذا عليَّ أن أفعل؟

- أما أنا فما حدث جعلني أدرك تماما ما أفعل وماذا أريد؟

اقترب مني وأمسك يدي وقال: "هنا " إني أحبك.

ابتسمت في وجهه وربت على يده وقلت: وأنا أدركت أنني أحب "كريم" ليس فقط أحبه بل أعشقه فهو بالنسبة لي كل شيء في هذه الحياة لقد أبصر قلبي أخيرا وعدت أسمع نبضاته من جديد.

تركت يده وتركته واقفا ذاهلا حيث هو، وقلت وأنا أهم بالسير في اتجاه الخروج: سامحني يا "نادر" لقد تحررت أخيرا من الماضي كنت أسيرة له لسنوات والآن بت حرة.

نادى عليَّ وهو يقول: "هنا " إلى أين تذهبين؟

صحت بصوت عالٍ وأنا أعدو: لألحق بالقطار لا أريد أن أفوته.

انطلقت أعدو بكل قوتي وشعور بالسعادة يتخلل روحي أتمنى من الله ألا أكون قد تأخرت.

ما إن خرجت من الحديقة حتى استقللت تاكسي وطوال الطريق وأنا أحاول الاتصال بـ "كريم" في بيته أو على هاتفه دون جدوى.

هاتفت "كاثرين" أبلغتني في حزن أن "كريم" سيسافر اليوم إلى أكسفورد.

صحت في انفعال: مستحيل يجب أن ألحق به وأن أمنعه هل أنت متأكدة.

- لا أعلم يا "هنا " هذا ما قاله اليوم لي صباحًا.

قلت منهية الحديث معها: حسنا يا "كاثرين" سوف أبحث عنه حتى أجده شكرا لك.

هبطت من التاكسي قبل جسر القلعة بقليل وأنا أفكر في يأس ترى أين

يكون؟ أحقا سافر ودون أن يودعني أم أنه ما زال هنا؟

أخذتني قدمي إلى الجسر كنت أسير فيه غير مدركة غارقة في التفكير وما إن رفعت عيني الممتلئتان بالدموع حتى رأيته يقف في الناحية الأخرى من الجسر لم أصدق بكيت من الفرحة وأنا أنظر إليه وهو لا يراني هتفت بأعلى صوت: "كريم" ....

تلفت حوله في دهشة حتى وقعت عينه عليّ، وقف في ذهول ينظر لي ابتسمت وصحت: إني أحبك.. وأنا موافقة على الزواج بك.

صرخ في دهشة: "هنا" ماذا تقولين؟

قلت والدموع تسيل من عيني: لقد استمعت إلى صوت قلبي يا "كريم" ولا يوجد به أحد إلا أنت.

قفز في فرح وقال: أحقا ما تقولينه يا "هنا"؟

قفزت أنا أيضا وأنا أضحك بصوت عالٍ: نعم يا "كريم" كنت أنت طوال الوقت من أحبه، كنت أنت فارس أحلامي ولم أدرك ذلك إلا في اللحظة الأخيرة.

قال بسعادة وهو يحاول عبور الطريق ليلقاني: الحمد لله لقد تخيلت أنني فقدتك للأبد.

وبعدها حدث كل شيء بسرعة فلم أدرك ما حدث، كانت عيناه عليَّ ينظر لي في فرح شديد وكنت أنظر إليه كذلك ولم أنتبه إلا على صوت نفير سيارة مسرعة قادمة نحوه وبعدها أظلمت الدنيا من حولي.

أفقت في المشفى وأنا أصرخ وأبكي بشدة فآخر ما أذكره السيارة وهي

قادمة مسرعة باتجاه "كريم"، احتضنتني "كاثرين " بشدة وهي تحاول أن تهدئني:

- "هنا" كل شيء على ما يرام .

قلت لها بأنفاس متقطعة:"كريم"..... لقد ....

قالت مطمئنة: "كريم" بخير يا "هنا "، لا تقلقي.

نظرت لها من بين دموعي وسألتها: أحقا ما تقولين؟

- نعم إنه بخير لا تقلقي.

قلت وأنا أحاول أن أنهض عن الفراش: أريد أن أراه ....أين هو؟

سمعت صوته يقول في حنان فازداد نحيبي: أمامك يا حبيبتي.

مددت يدي إليه محاولة الوصول إليه في صمت وشلالات من الدمع تغرق وجهي.

تركتنا "كاثرين" وخرجت من الغرفة .

اقترب مني وجلس بجانبي وأمسك يدي وهو يقول: لن يستطيع أحد أن يفرق بيننا بعد اليوم ولا حتى الموت.

ابتسمت من بين دموعي فأكمل: أنت لا تعلمين كم تمنيت وحلمت بهذه اللحظة، كم دعوت الله أن تكوني لي، كم تألمت وأنا أراك تبتعدين عني ومع ذلك لم أستطع أن أتركك كنت حولك دائما حتى وإن لم تريني.

واليوم ذهبت إلى الجسر في نفس المكان الذي اعترفت لك فيه بحبي للمرة الأولى أودعه فلم أكن أستطيع أن أظل في نفس البلدة وأنت لغيري كنت سأسافر ولكنني لم أستطع، شيء ما كان يمنعني وكأنى كنت سأفوت شيئا ما وكأنني كنت سأفوت .....

نطقت باكية : كنت ستفوت القطار.... أليس كذلك؟

سألني مندهشا: كيف علمت؟

أجبته مبتسمة: كان هذا حلمي طوال الفترة الماضية أنني في محطة القطار ولكني أفوت القطار ولا أستطيع أن ألحق به.

شددت على يده وقلت: ولكن الحمد لله لقد لحقت القطار في اللحظة الأخيرة.

قال مداعبا: هذا معناه أنني أنا القطار أليس كذلك؟

ضحكت فمد يده وأخذ يمسح دموعي وهو يقول: لا أريد أن أرى هذه اللآلئ مرة أخرى اتفقنا؟

أومأت برأسي موافقة ثم تذكرت شيئا فقلت له: كيف نجوت لقد رأيت السيارة مسرعة نحوك و........

قاطعني مطمئنا: الحمد لله، إنها إرادة الله، لقد جذبني أحد المارة بقوة فسقطنا أرضا سويا دون أي إصابات.

تنفست الصعداء: الحمد لله، أنت لا تعلم ما الذي قد يحدث لي لو أنك.......

وضع أصابعه على شفتي وقال هامسا: ماذا كنت تقولين لي قبل أن تأتي السيارة المسرعة أعلى الجسر...

ابتسمت في خجل وقد احمرت وجنتي ولم أنطق.

تزوجنا في السفارة المصرية وبعدها أقمنا حفلا بسيطا لأصدقائنا.

كنت طوال الوقت أنظر ل "كريم" فأرى السعادة تشع من عينيه، كانت فرحته بي تطغى على كل شيء حولنا فأبتسم بدوري .

أحيانا تكون الحقيقة أمامنا ولكن عيوننا لا تراها وقلوبنا يصيبها عمى مؤقت فلا تسمع صوت الحب الحقيقي نظل نبحث عنه في كل مكان دون أن ندري أنه بداخلنا.

ولكن الحب الصادق أيضا يبحث عنا حتى يجدنا فمهما حدث لا بد أن يصل لقلب محبيه لا بد للحب أن ينتصر لأن الله هو الحب والحب هو الأمل والنور لاستمرار الحياة.

لقد عاد "نادر" بعد أن اطمأن على والده ورضخ لأمره, هاتفني فأخبرته بموعد زفافي فتمنى لي السعادة، رأيته لآخر مرة أمام مبنى السفارة بعد أن أتممنا عقد الزواج.

ابتسمت له في سعادة, نظر لي "كريم" في تساؤل فهززت رأسي..لا شيء.

لقد أُسرت في الماضي قديما بسبب الحب واليوم تحررت بالحب أيضا.

إن الحب الصادق هو الحرية الكاملة عندما يأتي في الوقت المناسب والمكان المناسب.

النهاية.